وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم التاريخ

الحملات العسكرية لصالح رايس

1552 – 1556م

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص: تاريخ المغرب العربي الحديث

من إعداد الطالبين:

هني عثمان زكي

عبد الهادي مُحَّد

المشرف ومساعد المشرف:

مُحَّد مُحَّدي

نواصر نصيرة

السنة الجامعية: 2022م/2023 م - 1444هـ

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية قسم التاريخ

الحملات العسكرية لصالح رايس 1552 – 1556م

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ المغرب العربي الحديث

من إعداد الطالبين:

هني عثمان زكي

عبد الهادي مُحَمَّد

المشرف ومساعد المشرف:

مُحَمَّد محدداي

نواصر نصيرة

لجنة المناقشة		
الاسم واللقب	الجامعة	الصفة
مُحَمَّد السعيد بوبكر	جامعة غرداية	رئيسا
مُحَمَّد محدداي	جامعة غرداية	مشرف
نصيرة نواصر	جامعة غرداية	مشرف مساعد
ناصر بلحاج	جامعة غرداية	مناقشا

السنة الجامعية: 2022م/2023 م – 1444هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ (الأنفال - 46)

صدق الله العظيم

شكر وعرفان

الحمد لله رب العالمين والصلاة و السلام على سيدنا محمد أشرف المرسلين و سيد الخلق أجمعين وعلى آله وصحبه أجمعين وعلى الصحابة الأكرمين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين

إن أول الشكر هو لله الواحد جل وعلا على جميع النعم التي أنعمها علينا وعلى نعمة العلم خاصة وتيسيره لكل سبل إنجاز هذا العمل المتواضع الذي نرجوا من الله أن يكون فيه إفادة لغيرنا

ويجعله في ميزان حسناتنا وأن نكون أحد الاثنين ممن قال فيهم الرسول الكريم:" من اجتهد فأصاب فله أجران ومن اجتهد ولم يصب فله أجر واحد" .

و نتقدم بجزيل الشكر والامتنان إلى الدكتور المشرف: "محمد محدداي" والأستاذة :"نصير نواصر" الذين لم يبخلوا علينا بتوجيهاتهم ونصائحهم، والتي كانت عونا لنا في إتمام هذه المذكرة

كما لا ننسي شكر أعضاء لجنة المناقشة على ما سيقدمونه من توجيهات وتصويبات،وكل من كان له الفضل في إنجاز هذا العمل وأخص بالذكر الأستاذ (ة): "د. بوبكر محمد السعيد". و د(ة): "بيشي رحيمة"،ود: ناصر بلحاج "والأستاذ الدكتور:" صالح بوسليم" الذي منحنا من وقته وقدم لنا توجهات في الموضوع، وباقي الأساتذة على كل نصيحة...

كما نتقدم بالشكر الجزيل لكل من ساعدنا من قريب أو بعيد في إنجاز هذا العمل واجتهد معنا بكل إخلاص.

"عسى الله أن يوفقنا لما فيه خير لنا"

الإهـــــداء

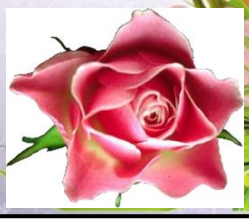

إلى من يعجز اللسان ويجف القلم عن وصف جميلهما، ولا يمكن للكلمات أن توفي حقهما: "والداي العزيزان" أطال الله في عمرهما...

إلى كل من شاركوني أفراحي واحزاني وكانوا لي نعم السند في هذه الحياة "إخوتي" حفظهم الله...

إلى كل من علمني في جميع مراحل دراستي...

إلى الدكاترة والأساتذة الكرام...

إلى كل من زرعت معهم بذور الصداقة يوما...كل الرفقاء والأصدقاء.....

إلى كل مواطن مخلص للأمة العربية والإسلامية...

إلى كل سكان ولاية عين صالح...

إلى كل عزيز في القلب لم يذكره اللسان

هني عثمان زاكي

الإهـــــداء

إلى من سهرت الليالي من أجلي...

إلى نبع الحنان التي وهبت عمرها وحياتها لتربيتنا...

تاج رأسي "أمي الحبيبة" رحمها الله و أسكنها فسيح جناته.

إلى من تعب وشقا لأجل دراستي...

إلى من أوصلني إلى ما أنا عليه اليوم...

لك "أبي الغالي".

إلى من عشت معهم وقاسمنا أحلى الأيام وأمرها إلى من هم أثمن وأجمل

ما في هذه الدنيا: "إخوتي الأعزاء" حفظهم الله...

إلى جميع عائلتي

إلى كل من علمني في جميع مراحل دراستي

إلى كل الأصدقاء الذين جمعتني بهم الحياة الجامعية والصداقة المتبادلة

إلى كل من يحبني ويعرفني

إلى كل من يحبهم قلبي ولم يذكرهم لساني

إلى من اتخذ الجامعة قاربا والقلم مجدافا والورقة راية والعلم محيطا

إلى هؤلاء وأولئك: أهدي لكم ثمرة جهدي

عبد الهادي مُحَمَّد

قائمة المختصرات

المختصر	الكلمة
ج	الجزء
ص	صفحة
ص ص	صفحات متتالية
تح	تحقيق
ط	طبعة
م	ميلادي
هـ	هجري
د ج	دون جزء
د ط	دون طبعة
د د ن	دون دار نشر
د م ج	ديوان المطبوعات الجامعية

المقدمة

مقدمة :

لقد شهدت منطقة شمال إفريقيا والبحر المتوسط خلال القرن العاشر الهجري، والسادس عشر ميلادي صراعا قويا بين الدول الكبرى، فالدولة العثمانية كانت تمثل العالم الإسلامي، أما الدولة الاسبانية فكانت تمثل العالم المسيحي.وقد تمثل هذا الصراع في الاحتلال الاسباني لمنطقة شمال إفريقيا، وطرد المسلمين الأندلسيين، ثم ظهور الإخوة بربروس في البحر الأبيض المتوسط، وإنقاذهم للمسلمين الأندلسيين من الاضطهاد الاسباني ورفعهم شعار الجهاد، ثم استنجاد سكان مدينة الجزائر بالإخوة بربروس من أجل إنقاذهم من الاسبان المحتلين للبلاد. وقد زادت حدة الصراع، واشتد أكثر بعد أن أصبحت الجزائر إيالة عثمانية، وأصبحت مدينة الجزائر عاصمة الحكم، بعد أن كانت تلمسان عاصمة الحكم الزناني في البلد. فقد كانت الخريطة السياسية للبلاد تتمدد وتتقلص بحسب الوضع السياسي في البلد، كما أن مجيء العثمانيين للجزائر، قد أثر في الأوضاع السياسية، من خلال اتخاذهم قاعدة حكم جديدة، وإخضاع الأمراء المحليين لسلطتهم، وتحريرهم للبلاد من قبضة الاسبان.

فقد استعمل العثمانيون كل السبل الممكنة لإخضاع البلاد التي دخلوها بالسلم، واستنجاد أغلب سكانها بهم، عمل العثمانيون على التحالف مع أصحاب النفوذ الداعمين لهم، والقيام بحملات عسكرية ضد الرافضين للوجود العثماني، واستعمال سياسية الأخوية الدينية مع جيران الجزائر، وذلك من أجل تحرير الأندلس، واستكمال المشروع العثماني المتمثل في عثمانة بلاد المغارب وطرد الاسبان منها. وخلال هذه الفترة ظهرت شخصيات قوية في الميدان، مثل عروج وخير الدين وحسن آغا، وحسن ابن خير الدين، وصالح رايس، حيث قاموا بحملات عسكرية عديدة على المستوى الداخلي، وأخرى خارجية في إطار السيطرة على بلاد المغارب والبحر المتوسط. وهذا ما سنوضحه أكثر،من خلال دراسة موضوعنا الذي جاء تحت عنوان: **الحملات العسكرية لصالح رايس 1552م– 1556م.**

الإطار الزمني والمكاني:

إن الموضوع المرغوب في دراسته هو "الحملات العسكرية لصالح رايس" ،وهو كغيره من مواضيع الدراسات التاريخية،له حدود زمنية ومكانية، وهي كالتالي:

الإطار الزمني: وقد تم تحديده بالمدة الزمنية التي حكم فيها صالح رايس الجزائر بدءا من سنة 1552م إلى غاية 1556م.

الإطار المكاني: إن موضوع الحملات العسكرية لصالح رايس 1552م – 1556م من المواضيع التاريخية التي اكتسبت أهمية كبيرة عبر التاريخ، وقد جرت أحداث هذه الحملات في ايالة الجزائر، وامتدت إلى جوارها.

الإشكالية:

تعد سنة 1519م الموافق لـ 920هـ تاريخ انضمام الجزائر الرسمي للدولة العثمانية في نظر الكثير من المؤرخين، وبحسب الذين أرخو للجزائر في المرحلة الحديثة. فخلال المرحلة الأولى من الحكم العثماني في الجزائر، استعمل العثمانيون أساليب وسياسات مختلفة لفرض سلطانهم على ايالة الجزائر وما جاورها من محيطها الخارجي، وذلك من أجل السيطرة على المنطقة المغاربية وحوض البحر المتوسط. فقد كانت تلك الأساليب تعتمد على التحالفات مع أصحاب النفوذ والأمراء المحليين من جهة، ومن جهة أخرى، كانت القوة العسكرية هي السبيل الأنسب لفرض السيطرة، لذلك قام الأمراء الأوائل (البيليربايات) ومن بينهم صالح رايس، بحملات عسكرية عديدة ضد المناوئين و المحتلين في الجزائر وخارجها،وهذا ما يدفعنا لطرح الإشكالية التالية:

ماهي الحملات العسكرية التي قام بها صالح رايس خلال الفترة الممتدة من 1552م إلى 1556م في داخل وخارج الجزائر؟

- ما هي أبرز التحالفات السياسية والعسكرية التي نسجها الحكام في الجزائر خلال الفترة الأولى من الحكم العثماني؟
- ما هي أبرز التحديات الداخلية والخارجية التي ظهرت للحكام العثمانيين في الجزائر، من بداية حكمهم حتى نهاية 1556م ؟ وكيف تعاملوا معها؟
- ما هي الإستراتيجية العسكرية التي اعتمدها صالح رايس خلال الحملات العسكرية التي قام بها في الجزائر؟
- من هي شخصية صالح رايس التي حكمت الجزائر ست سنوات؟
- و كيف كانت الجزائر في عهده؟
- وكيف كانت سياسته الداخلية والخارجية خلال فترة حكمه؟ وماهي نتائجها المحققة؟
- وماهي الدوافع والأسباب التي جعلت صالح رايس يقوم بهذه الحملات العسكرية؟
- ما أبرز الحملات العسكرية التي قام بها الحكام السابقين ؟

- وما هي دوافعها وحيثياتها، ونتائجها وانعكاساتها الداخلية والخارجية؟

دوافع و أسباب اختيار الموضوع:

إن اختياري لهذا الموضوع كان لأسباب ودوافع ذاتية وموضوعية.

الذاتية:

- الرغبة في دراسة شخصية صالح رايس من أجل إثراء الرصيد المعرفي.
- الميول إلى دراسة الشخصيات التاريخية في تاريخ الجزائر الحديث.
- ترسيخ المعلومات حول هذه المرحلة والتعمق فيها أكثر.
- الرغبة في دراسة تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني.

الموضوعية:

- الأهمية التي يكتسيها الموضوع تاريخيا خلال العهد العثماني، والإنجازات التي حققها صالح رايس.
- السعي لمعرفة التحديات والصعوبات التي واجهت الحكام خلال سعيهم لتثبيت حكمهم في الجزائر الحديثة.
- تسليط الضوء أكثر وبشكل خاص على الحملات التي قام بها صالح خلال هذه الفترة الزمنية، ونتائجها الداخلية والخارجية على الجزائر.
- وكذلك من أجل الوقوف على واقع العلاقات بين الحكام العثمانيين والرعية والإمارات في الجزائر، والعلاقات الخارجية، خاصة تلك القريبة منا جغرافيا وتشترك معنا في روابط عديدة أخرى، بالإضافة إلى علاقات الدولة العثمانية الخارجية، وأثرها على الجزائر خلال هذه الفترة.

- **اهمية الدراسة:**

- اهمية الحملات العسكرية التي قام صالح رايس في الجزائر ونتائجها على المستويان الداخلي والخارجي.
- ابرز مدى اهمية الجزائر والبحر المتوسط خلال القرن 16م – 10هـ.
- اهمية معرفة الوضع السياسي للبلاد خلال هذه الفترة.

- **أهداف الدراسة:**

لقد كان الهدف من هذه الدراسة:

- اقامة دراسة مخصصة عن شخصية صالح رايس.

- النتائج المحققة من الحملات التي قام بها صالح رايس واهميتها.
- أثر هذه الحملات على الجزائر داخليا وخارجيا.

- ***منهج الدراسة:***

لقد اعتمدنا في دراستنا لهذا الموضوع، على المنهج التاريخي التحليلي الوصفي، حيث قمنا بجمع المادة العلمية التي تعرضت للموضوع، وبعدها قمنا بتحليلها تحليلا تاريخيا، ثم محاولة وصف الأحداث التاريخية، هذا بالإضافة إلى استعمالنا المنهج الإحصائي من أجل إحصاء عدد الجنود والعدة والعتاد،والمكتسبات والخسائر الحاصلة في الحملات.

- ***الدراسات السابقة:***

- بلعمري شيماء – زيان نور الهدى، صالح رايس وإسهاماته في تحقيق الوحدة الإقليمية في الجزائر(1552م – 1556م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ الجزائر الحديث، بن رحال يمينة، جامعة مُحَّد بوضياف – المسيلة، الجزائر، 2020- 2021.

تتحدث هذه المذكرة عن دور صالح رايس في تحقيق الوحدة الترابية للجزائر خلال العهد العثماني، وقد أفادتنا في بناء الخطة والبحث عن المصادر والمراجع وتأكيد المعلومات.

- عبد النبي إلهام – قروي مريم ، الحملات العسكرية على الصحراء الجزائرية خلال العهد العثماني، مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ، تاريخ المغرب العربي الحديث، بوبكر مُحَّد السعيد، جامعة غرداية، الجزائر، 1440 – 1441هـ/ 2019 – 2020م.

وتتحدث هذه المذكرة عن الحملات العسكرية التي قام بها الحكام العثمانيين عبر مختلف مراحل الحكم العثماني في الجزائر، وقد أفادتنا هي الأخرى في التعرف على الحملة التي قام بها صالح رايس نحو تقرت و ورقلة، والنتائج المترتبة عنها.

- بن سليماني صليحة ، بناء أسس الدولة الجزائرية الحديثة في عهد البيلربايات (1519/1587م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر أكاديمي في التاريخ، تخصص تاريخ الجزائر الحديث، قويدر عاشور، جامعة مُحَّد بوضياف – المسيلة، 1439-1440هـ/2018-2019م.

وقد تحدث هذه المذكرة عن المرحلة الأولى من الحكم العثماني في الجزائر، والأسس التي اعتمدها الحكام الأوائل خلال مواجهتهم للتحديات الداخلية والخارجية، حيث يعد صالح أحد أولئك الحكام. وقد استفدنا منها في الفصول الثلاثة.

- مبروك فيصل ، وقف صالح رايس في وجه النزعة التوسعية لمحمد الشيخ السعدي 1539- 1557م، مجلة تاريخ المغرب العربي، العدد التاسع ماي 2018، المركز الجامعي – بريكة.

وقد تحدث هذا المقال عن السياسية التي استعملها صالح رايس في مواجهة مُحَمَّد الشيخ السعدي ونزعته التوسعية، وقد أفادنا في معرفة الأحوال السياسية في المنطقة، وكيف قام مُحَمَّد الشيخ السعدي بنزعته التوسعية وتصدي صالح رايس له.

- ***خطة البحث:***

- **الفصل الأول**: من المغرب الأوسط إلى الجزائر العثمانية:

فقد تناولنا في هذا الفصل الأحداث الحاصلة في المغرب الأوسط، من حالة التفكك السياسي للبلاد، وتأثيرها على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، مما نجم عنها الاحتلال الاسباني لسواحل المغرب الأوسط، واستنجاد أهالي الجزائر بالإخوة بربروس، ثم إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية، نظرا للظروف الصعبة، ومنها تطرقنا للصعوبات التي واجهت خير الدين ، ومن بعده حسن اغا ثم ابنه حسن باشا في تثبيت الحكم العثماني في الجزائر، من خلال الحملات العسكرية من أجل اخضاع المتمردين في الداخل، ومجابهة الاسبان. وكل ذلك تمهيد لمرحلة جديدة من مراحل تثبيت الحكم العثماني في الجزائر. ولدراسة هذا الفصل قمنا بتقسيمه إلى مبحثين وهما كالتالي:

- المبحث الأول: الأوضاع العامة في المغرب الأوسط قبيل دخول الجزائر تحت لواء الخلافة العثمانية.
- المبحث الثاني: أوضاع الجزائر الداخلية والخارجية من 1518م/ 924هـ - 1552م / 959هـ.

- **الفصل الثاني**: الجزائر من 1552م / 959هـ الى 1556م / 963هـ

فقد قمنا بتقسيم الفصل إلى ثلاثة مباحث، حيث تطرقنا فيها إلى حياة صالح رايس ثم الجزائر خلال فترة حكمه، وقد عرضنا فيها الأوضاع بشكل مختصر من قبيل توليه الحكم في الجزائر إلى وفاته. وقد كانت هناك أحداثا مهمة مثل القضاء على الحكم الزياني في تلمسان، وإلحاقها بالجزائر، ورسالة أعيان قسنطينة إلى السلطان العثماني. وبعدها قمنا بدراسة الحملات التي قام بها خلال فترة حكمه في الجزائر، وهو المبحث الذي ركزنا عليه أكثر، كونه يعد أساس الموضوع الذي ندرسه. ولدراسة الحملات العسكرية التي قام بها، اعتمدنا على عرض الأسباب والدوافع، ثم الحيثيات، وصولا للنتائج المترتبة عنها.

- **المبحث الأول**: نبذة تاريخية عن حياة صالح رايس
- **المبحث الثاني**: الجزائر خلال فترة حكم صالح رايس من 1552م / 959هـ - 1556م / 963هـ

- **المبحث الثالث:** حملات صالح رايس العسكرية في الجزائر من 1552م / 959هـ الى 1556م / 963هـ
- **الفصل الثالث:** قراءة في السياسية الخارجية لصالح رايس

فقد قسمنا هذا الفصل الأخير إلى مبحثين هما عبارة عن نتائج الحملات الخارجية لصالح رايس، حيث درسنا في المبحث الأول العلاقات الجزائرية المغربية من عروج إلى صالح رايس، ذلك لأن فكرة امتداد الأتراك العثمانيين إلى المغرب قد بدأها عروج، وأكملها صالح رايس. وفي المقابل فالرؤية المغربية في ضم الجزائر قديمة، كون الوطاسيين هم مثلهم مثل بني مرين قد كانت لهم نفس الرغبة، لكن الظروف لم تساعد على ذلك. ونفس النظرة ورثها السعديون، وقاموا بالحملة على تلمسان، فرد صالح رايس بحملة على المغرب والحاق المغرب بالدولة العثمانية لفترة من الزمن، ثم استعاد السعديون نفوذهم، وقد ترتب عن ذلك نتائج قمنا بعرضها في المبحث الأول. ثم تطرقنا في المبحث الثاني إلى العلاقات العثمانية الفرنسية، وأثرها على الجزائر خلال فترة صالح رايس.

المبحث الأول: العلاقات الجزائرية المغربية من عروج إلى نهاية حكم صالح رايس

المبحث الثاني: العلاقات العثمانية الفرنسية وأثرها على ايالة الجزائر من خير الدين إلى نهاية عهد صالح رايس.

- **الصعوبات:**

لقد واجهنا صعوبات في دراسة هذا الموضوع، وقد تمثلت في جمع المادة العلمية في كتاب، إذ أن هناك بعض الكتب التي لا تعرض المعلومات اللازمة بشكل مفصل، بالإضافة إلى تضارب المعلومات وكثرة المادة العلمية، وهذا ما جعلنا نعاني في كيفية احتوائها، وطريقة صياغة المعلومة بالشكل الصحيح، بالإضافة إلى قلة المصادر العربية، المحلية خاصة، إلى جانب صعوبة ترجمة المراجع الأجنبية واستعمالها.

- ***التعريف بأهم المصادر والمراجع:***

أ – المصادر:

مارمولكربخال، افريقيا، مُحَمَّد حجي وآخرون، دار النشر للمعرفة، الربط، المغرب، 1408 – 1409هـ /1988 – 1989م، ج2.

كتاب إفريقيا يعد مصدرا أساسيا في دراسة تاريخ إفريقيا عامة، وشمال القارة خاصة، والجزائر على وجه الخصوص خلال القرن السادس عشر. حيث تحدث عن المدن الجزائرية، أوضاعها، وكيف تأسست وبنيت،

ومجمل الأحداث من القديم إلى القرن السادس عشر ميلادي، العاشر هجري، صاحب هذا الكتاب عاش في القرن السادس عشر الذي جاء مع الحملة الاسبانية على تونس، وقد كان في مهمة بأمر من شارلكان ملك اسبانيا، وسجل كل الأحداث التي حصلت في تلك المرحلة، فألف خمسة أجزاء من هذا الكتاب، كما أنه قد سجل حملات صالح رايس كاملة. وقد استفدنا من هذا الكتاب كثيرا في تحليل مجريات الأحداث التاريخية، حيث نجد أن مرمول قد سجل أحداث هذه الفترة، ولكن نجده يبالغ في نقلها بتضخيمها كثيرا، ويحاول أن يكتب بشكل سلبي عن الأتراك العثمانيين.

- فراي ديغو هايدو، تاريخ ملوك الجزائر، تر أبو لؤي عبد العزيز الاعلى، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

ويعد هذا الكتاب مصدرا من مصادر تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني في القرن السادس عشر، حيث كان صاحب هذا الكتاب مسجونا في الجزائر، فكتب عنها خلال هذه المرحلة، بداية من عروج ثم خير الدين بربروس إلى سنة 1596م في مرحلة مصطفى باشا، وإن كان لم يعايش معظمهم، إلا أنه كتب أغلب الأحداث التي حصلت في الجزائر خلال هذه الفترة التي عاشها فيها. وصاحب هذا الكتاب هو رهب اسباني، حيث كان نقله لبعض الأحداث فيه نوع من التحامل والحقد، ولكن أغلبها قد حدثت فعلا. فلقد استفدنا من هذا الكتاب استفادة كاملة، وكان استعماله في المبحث الثاني من الفصل الأول، والفصل الثاني بشكل كامل، حيث يعد مصدرا رئيسيا لدراسة الحملات التي قام بها صالح رايس من 1552 إلى 1556.

- ***ب – المراجع:***

- عزيز سامح التر: **الأتراك العثمانيين في شمال إفريقيا**، تر: مُحَّد علي عامر، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1989م

لقد استفدنا من هذا الكتاب كثيرا في الفصول الثلاثة، حيث يتكلم عن الجزائر من قبل دخول الأتراك العثمانيين، إلى حين خروجهم منها. والجزء الذي يخص بحثي، فقد استفدت منه في دراسة الأحداث والحملات التي قام بها صالح رايس، وهذا مهم جدا في دراسة تاريخ الجزائر خلال هذه المرحلة. ولكن من خلال اطلاعي عليه، فإنه ينقل الأحداث على طريقة دغرموا و هايدوا.

-مبارك بن مُحَّد الهلالي الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، ج3.

كما أننا استفدنا كثيرا من هذا الكتاب في الفصول الثلاثة، فهو يتحدث عن كل مراحل تكوين دولة الجزائر من القديم إلى الفترة الحديثة العثمانية، ويحتوي على ثلاثة أجزاء. وقد اعتمدنا في عملنا على الجزء الثالث منه، حيث

أنه أفادنا على وجه الخصوص في الحملات التي قام بها صالح رايس، ولكنه أيضا يعتمد في مصادره على مرمول في كتابة التاريخ.

-مروش المنور، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني القرصنة والأساطير والواقع، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009، ج2.

لقد أفادنا هذا الكتاب كثيرا في الفصل الثاني والفصل الثالث من الدراسة، حيث تطرق المؤلف إلى الموضوع المدروس وأعطى معلومات لم نجدها في كتب الآخرين، خاصة ما تعلق بشأن الرسائل التي أرسلها السلطان العثماني إلى أعيان مدينة الجزائر، و السلطان السعدي، عدا أنه يعتمد على المصادر والمراجع الأجنبية بكثرة.

-توفيق المدني أحمد ، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492 – 1792، دار البصائر، ط3، 2009، الجزائر.

استفدنا من هذا الكتاب من بداية العمل إلى نهايته، حيث أن مؤلفه جزائري،وقد تحدث كتابه عن الجزائر من مرحلة الاحتلال الاسباني إلى غاية خروجه منها، ولكن الظاهر أن المؤلف يكتب بشكل يمكن القول عنه أنه غير أكاديمي.

- ج- المذكرات:

من ناحية المذكرات التي تناولت الموضوع فكانت كالتالي:

- بلعمري شيماء – زيان نور الهدى، صالح رايس وإسهاماته في تحقيق الوحدة الاقليمية في الجزائر(1552م – 1556م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ الجزائر الحديث، بن رحال يمينة، جامعة محمد بوضياف – المسيلة، الجزائر، 2020- 2021.

- المكي جلول، مسألة الحدود بين الجزائر والمغرب من 631 إلى 1263هـ/ 1234 – 1847م، رسالة جامعية للحصول على الماجستير، مولاي بالحميسي، جامعة الجزائر، 1413هـ/1993م.

- بن سليماني صليحة ، بناء أسس الدولة الجزائرية الحديثة في عهد البيلربايات (1519/1587م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر أكاديمي في التاريخ، تخصص تاريخ الجزائر الحديث، قويدر عاشور، جامعة محمد بوضياف – المسيلة، 1439-1440هـ/2018-2019م.

الفصل الأول

من المغرب الأوسط إلى الجزائر العثمانية

- المبحث الأول: الأوضاع العامة في المغرب الأوسط قبيل الدخول العثماني للجزائر
- المبحث الثاني: الجزائر من 1518م– 924هـ الى 1552م– 959هـ

لا شك في أن الجزائر قد شهدت خلال الفترة الممتدة من أواخر القرن الخامس عشر إلى بداية القرن السادس عشر، تغيرات جذرية طرأت على ساحة الأحداث السياسية، وهذا راجع إلى عدة عوامل منها ما هو داخلي و منها ما هو خارجية، والتي كانت تأثيراتها وقع الصدى على الأوضاع الجزائرية السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، نظرا لارتباط هذه المنطقة بالأحداث المحيطة بها على الصعيد المغاربي والمتوسطي، حيث أدت هذه التغيرات السياسية إلى ظهور موجة من الغزو الصليبي الإسباني الذي استهدف مناطق شمال إفريقيا عامة، وأخذت الجزائر نصيبها منه، في ظل معاناتها من التفكك السياسي والضعف الذي عرفته في كل المجالات أواخر القرن الخامس عشر ومطلع القرن السادس عشر، وهو الأمر الذي بشر بدوره لقدوم قادم جديد قوي من شأنه أن يُصلح ذلك التدهور السياسي الذي عرفته المنطقة خلال هذه الفترة من خلال مجابهته للاحتلال الاسباني ودفاعه عن البلاد والعباد، وهو ما تمثل في "الإخوة بربروس" أصحاب الفضل في نقل الجزائر، ليُتوج الأمر بدخول هذا القادم الجديد تحت مظلة الحكم العثماني المباشر، أين ستدخل الجزائر مرحلة تاريخية مهمة في تاريخها الحديث، وهو ما سيتم الحديث عنه في هذا الفصل من خلال محاولة الإحاطة بالإشكاليات الآتية:

- كيف كانت الأوضاع العامة بالجزائر قبيل الدخول العثماني لها؟
- هل تغيرت هذه الأوضاع إلى الأحسن بعد انضمام الجزائر للدولة العثمانية؟ وما مظاهر ذلك يا ترى؟

المبحث الأول: الأوضاع العامة في المغرب الأوسط قبيل الدخول العثماني للجزائر

لا خلاف في أن منطقة المغرب الأوسط قد عاشت خلال الفترة الممتدة من أواخر القرن الخامس عشر إلى مطلع القرن السادس عشر أوضاعًا لا تُحسد عليها، في ظل ذلك التفكك السياسي الذي عقبه تدهور في شتى المجالات الأخرى، ويعود السبب في ذلك إلى تناحر المتناحرين وتشاكس المتنافسين حول العرش السلطوي سواء بين أفراد أسرة بني زيان التي كانت تحكم الجزائر (المغرب الأوسط) آنذاك، أو مع الدولتين المرينية والحفصية المجاورتين لها، الأمر الذي جعل بعض القوى الخارجية وعلى رأسها الإسبان يغتنمون فرصة ضعف هذه الدولة مندفعين بحماسة دينية عقب سقوط غرناطة للسيطرة على أغلب السواحل الجزائرية بحجة ملاحقة مسلمي الأندلس، وهو ما سيجعل الإخوة بربروس يتصارعون مع الإسبان بُغية نجدة الجزائريين من ويلاتهم، ليُحسم الأمر كمّا أشرنا إلى استنجاد أهالي الجزائر بالدولة العثمانية سنة 1518م.

أولاً: الأوضاع الداخلية بالجزائر قبيل الدخول العثماني

1. الوضع السياسي

عقب انهيار دولة الموحدين انقسم المغرب العربي إلى ثلاث دويلات: (الدولة الحفصية ، وبني عبد الواد أو بني زيان نسبة إلى المؤسس يغمراسن بن زيان [1] والدولة المرينية)، و بحكم وسطية بني زيان كانت تشهد صراعات وصدامات مع الجارتين [2] .

وبطبيعة الحال فقد عرفت الدولة الزيانية أواخر عهدها ضعفا وانحطاطا، بحيث دخل أمراؤها في صراع على العرش ولم تعد تسيطر إلا على تلمسان، وبلاد القبائل (إمارة كوكو) التي كانت تحت حكم زاوية بلقاضي "أحمد بن القاضي" ، ومدينة الجزائر التي كانت تحت حكم الثعالبة[3].

2. الوضع الاقتصادي:

---

[1] **يغمراسن بن زيان:** من مواليد سنة (603هـ-1206م)، تلقى البيعة سنة (633هـ-1236م)، وهو المؤسس الفعلي للدولة الزيانية التي إتخذ من مدينة تلمسان عاصمة لها، ويعود له الفضل في تنشئة دولة بني زيان في كل المجالات، توفى سنة(681هـ-1282م)... للمزيد ينظر إلى: عثمان سعدي: **الجزائر في التاريخ**، شركة دار الأمة، الجزائر، 2012م، ص ص333- 334.

[2] قموز مُحَمَّد، زروالة خالد: **الهجرة الأندلسية وأثرها على المغرب الأوسط من القرن 16 م إلى 19 م**، مذكرة ماستر، تخصص: الحديث والمعاصر، جامعة الجيلالي بونعامة – خميس مليانة، (2016- 2017م)، ص 17 .

[3] نفيسة رحماني: **العوامل المؤثرة في الحياة الثقافية في الجزائر العثمانية**، مذكرة ماستر، تخصص: تاريخ الجزائر الحديث، جامعة مُحَمَّد بوضياف المسيلة، (2018-2019)، ص 7 .

بالنظر إلى التأزم الذي شهدته ساحة الأحداث السياسية بالجزائر من صراعات داخلية وتحرشات خارجية، والتي نتج عنها عدم الاستقرار والتطاحن فيما بين الإمارات المحلية، فقد أثر الجانب الاقتصادي سلبًا، و تراجعت عوائد الموانئ التجارية، بسبب سيطرة الإسبان على بعض الموانئ الجزائرية الساحلية، وتخريب بعضها مثل (ميناء هنين)،كما أن هروب المسلمين من الأندلس سبب فجوة وانهيارا في اقتصاد اسبانيا، كونهم كانوا يمثلون اليد العاملة والمنتجة في مختلف القطاعات الزراعية والصناعية، ما جعل الزعماء الايبريين يسعون إلى ملاحقتهم في البلاد المغاربية[1]، ومن أبرز هذه الموانئ كذلك (ميناء وهران والمرسى الكبير) بحيث يعتبر المرسى الكبير مركزا رئيسيا للتبادل التجاري بين المدن المتوسطية و الأوروبية، كالبندقية و جنوة ، وميناء مستغانم الذي كان له دور كبير في استقبال الأندلسيين بعد سقوط غرناطة، وهو من أهم المدن الساحلية التي كانت تتمتع بالنشاط الاقتصادي، ومدينة تنس التي أعلنت ولاءها للإسبان ودفع الضريبة لها .[2]

وبعد سيطرة الإسبان على معظم هذه الموانئ أصبحت عوائده تصب في صالح الخزينة الإسبانية وكذلك سلبت المنتجات الأولية مثل الصوف، الجلود، الحبوب، التي تعد من أهم ما تنتجه بلاد المغرب الأوسط[3]خلال هذه الفترة، بحيث يعاد تصنيعها وتُباع في أسواق الدول الأوروبية، وهذا ما ساهم في ازدهار اقتصادها، عكس الدول المغاربية التي تُعاد إليها منتجاتها بعد تحويلها[4].

ومن خلال ذلك نستنتج أن الأوضاع السياسية الداخلية كانت متأزمة جدًا، وهذا ما كان له انعكاس سلبي على الحياة الاقتصادية التي أتاحت الفرصة للإسبان بتوطيد نفوذهم في الجزائر، وأضحت أغلب المدن الساحلية تابعة لهم عن طريق الولاء الضريبي.

---

[1] عبد القادر فكاير: **الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية (910– 1206هـ/1505– 1702م)**، دار هومة، د ط، الجزائر، 2012م ، ص18.

[2] نفس المرجع ،ص 14.

[3] **المغرب الأوسط**: عبارة أطلقها العرب المسلمون على الجزائر مثلما أطلقوا على تونس اسم المغرب الأدنى، وعلى المغرب مسمى المغرب الأقصى، وهو مصطلح غامض من الناحية الجغرافية، ويراد به المنطقة التي تتوسط المغربين الأقصى والأدنى ...للمزيد يُنظر إلى:عبد القادر بوحسون: **العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس خلال العهد الزياني (633– 962هـ/ 1235– 1554م)**، مذكرة ماجيستير، تخصص: تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة أبي بكر بلقايد– تلمسان، (2007– 2008م)، ص 3.

[4] –عبد القادر فكاير ، المرجع السابق، ص ص 143– 144.

3-الوضع الاجتماعي :

عرفت الجزائر قبيل مجيء فترة العثمانيين تقهقرا اجتماعيا، نتيجة الأوضاع العامة في المنطقة، من تراجع اقتصادي، وعدم الاستقرار السياسي المصحوب بالتواجد الاسباني في معظم سواحل المغرب الأوسط. والعاملين الأساسين لقياس الحالة الاجتماعية هما: الوضعية الصحية والحالة المعيشي،فقد تميزت هذه الفترة بالتراجع الديمغرافي نتيجة للأمراض والأوبئة والمجاعات، وهذا أثر بالسلب على جميع الأوضاع من النمو الديمغرافي والعمران والاقتصاد[1]، في أواخر حكم بني زيان إلى مظاهر توحي بانحلال اجتماعي وصل إليه رغم كونه مجتمع مسلم، حيث كثر السحر والشعوذة، كما كثرت الأمراض و الأوبئة و الأزمات الطبيعية والفقر المدقع، إلى جانب ذلك انتشرت ظاهرة التبرك بالأولياء كون هذه المظاهر لها نفس الغرض، مع هروب من الواقع المعاش ،وانتشار البغاء و الدعارة في أوساط المجتمع نتيجة الطبقية الاجتماعية، مما نتج عنه الرشوة وبيع المناصب،كما انتشر الفساد في ظل عجز السلطة اتخاذ قرارات لحل المشاكل التي تشكل أزمة للأوضاع الداخلية، والفوضى التي انتشرت في العامة، مما سهل على الأعداء السيطرة على السواحل والتحكم في الحكام الذين كانوا يطلبون المساعدة منهم[2].

ثانيًا: الأوضاع الخارجية بالجزائر قبيل الدخول العثماني

1. الغزو الإبيري :

تقع شبه الجزيرة الأيبيرية جنوب غرب أوروبا، ويحدها من الشرق البحر الأبيض المتوسط ومن الغرب المحيط الأطلسي ويفصلها عن فرنسا شمالا سلسلة جبال البرق[3]، فتحها المسلمون بعد تظافر جهود كل من "موسى بن نصير" و "طارق بن زياد " وحكمها المسلمون لما يقارب الأربعة قرون

---

[1] ناصر الدين سعيدوني، **الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية (الجزائر ، تونس ، طرابلس ، المغرب من القرن العاشر إلى الرابع عشر هجري ومن القرن السادس عشر حتى القرن التاسع عشر ميلادي)** ،حوليات أدب و علوم الاجتماعية ، حولية 31 ،1431هـ-2010 م، ص 45

[2] مليكة عرابي ،عقيلة عبدات ، **الافات الاجتماعية في المجتمع الجزائري 1519م-1830م/925هـ-1246هـ**، مذكرة ماستر التاريخ الجزائر الحديث جامعة الجيلالي بونعامة –خميس مليانة ، فتيحة صحراوي ، 2018-2019م، ص ص 17 19.

[3] أحمد المختار العبادي، **في تاريخ المغرب والأندلس**، ط2، دار النهضة العربية، بيروت، 2013م، ص 18.

كاملة مع ترك بعض النفوذ والحرية الدينية، التي كانت سببًا في قلب موازين الحكم فيما بعد عصر الانحطاط والتراجع، لما شهده من فجور الأمراء وانتشار اللهو والمجون[1].

وقد بقي الأمر كذلك إلى أن تمكن المسحيين من إسقاط آخر معقل للمسلمين في الأندلس سنة 1492م (سقوط غرناطة)، وهذا راجع لعدة عوامل وأسباب كانت وراء ذلك، ومنها الاتحاد بين مملكة الاغوارن ومملكة قشتالة من خلال الزواج السياسي والمصاهرة بين الملك فرديناند[2]والملكة إيزابيلا[3]، أين تشكلت الوحدة الاسبانية الكاثوليكية المتعصبة ضد الإسلام والمسلمين في كل الأصقاع[4]، الأمر الذي سبب ظهور موجة الغزو الأيبيري على الجزائر ودول شمال إفريقيا الساحلية، في ظل ذلك التعصب الديني ورغبة الإيبيريين في وقف المد الإسلامي في القارة الأوروبية[5].

وقد ظهرت كذلك حركات توسعية لدى دول أوروبا وأبرزها (إسبانيا والبرتغال) وهذا للسيطرة على المجال البحري (البحر الأبيض المتوسط) مما جعل أهم المدن الساحلية للمغرب الإسلامي عرضةً للاحتلال والسيطرة من قبل الإسبان والبرتغال[6]، حيث قام حكام المملكتين بإبرام اتفاقية "ثوردي سيلاس" سنة 1494م، والتي تقتضي تقسيم شمال إفريقيا، فكان الحد الفاصل بينهم هو منطقة "حجر باديس" أي من باديس نحو الشرق للإسبان والعكس للبرتغال، وذلك لتفادي الصراع بينهما حول المستعمرات، وقد بدأ مشروع الإسبان في المغرب الأوسط من المرسى الكبير سنة (910هـ-

---

[1] بن عطا الله فاطمة: **الصراع البحري العثماني الإسباني في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط خلال القرن 10 هـ– 16 م** ، مذكرة ماستر، تخصص: تاريخ حديث ومعاصر، جامعة غرداية، (2012-2013م)، ص 9.

[2] **الملك فريديناند:** من مواليد مملكة أرغوان سنة 1452م، ورث عرش أبيه سنة 1479م بعد زواجه من ملكة قشتالة الملكة إيزابيلا .... للمزيد يُنظر إلى: المرجع السابق، ص 11.

[3] **الملكة إيزابيلا:** ملكة قشتلة من مواليد مدينة مدريد سنة (1451- 1514م)، تزوجت من ملك أرغون فريديناند، مما ساعد على توحيد الإسبان وظهور ما يعرف بالوحدة الإسبانية...، للمزيد يُنظر إلى أسماء ابلالي، **التحرشات الإسبانية على سواحل الجزائر خلال القرن 10هـ/16م**، في مجلة روافد للبحوث والدراسات، جامعة غرداية، ع2، (2017م)، ص 37.

[4] بطاش زهية، **الغزو الإيبيري للمغرب الأقصى خلال القرنين (9 – 10 هـ/ 15و 16م)** ، مذكرة ماستر، تخصص: تاريخ حديث ومعاصر، جامعة غرداية، (2012- 2013م)، ص22.

[5] عبد القادر فكاير ، المرجع السابق ،ص 15.

2 بلعمري شيماء ، زيان نور الهدى: **صالح رايس وإسهاماته في تحقيق الوحدة الإقليمية في الجزائر 1552–1556 م** ، مذكرة ماستر، تخصص: تاريخ الجزائر الحديث، جامعة مُحَمَّد بوضياف المسيلة، (2020 -2021م)، ص 10.

1505م) ليتمكنوا من إقامة سفنهم والتوسع في مشروعهم، وبالفعل بعد أربعة أعوام من احتلال المرسى الكبير سيطر الإسبان على وهران سنة 1509م.

وبعد احتلال وهران جاء الدور على مدينة بجاية التي تقع في شرق المغرب الأوسط غربي الدولة الحفصية، أي أخر نقطة من الدولة الحفصية، ونظرا لاستغلال الوضع السياسي والصراع الحاصل بين الأمير عبد الرحمان وابن عمه عبد الله، فإن استنجاد بعض الحكام بالإسبان على حساب الأخر قد سهل بدوره لتهيئة الجو للاحتلال الإسباني، فسقطت مدينة بجاية تحت حكم الإسبان سنة 1510م، ومنه أصبحت معظم المناطق الساحلية يسيطر عليها الإسبان، وأنشئوا بها قلاع وحصون مثل قلعة البنيون، كما فرضوا على المناطق الخاضعة لهم ضريبة سنوية تعبيرًا عن الولاء والطاعة مقابل حمايتهم[1].

و في هذا الشأن يقول المؤرخ "يحي بوعزيز " ما نصه: ((...كان لضعف دولة بني زيان تأثير سيئ على أوضاع الجزائر فإن قسمت على نفسها إلى إمارات صغيرة مفككة متأخرة أمثال إمارة جبل كوكو بلاد القبائل ، وإمارة الثعالبة بني مزغنة و متيجة" بحيث ساهم هذا التفكك والصراع الداخلي إلى حرب الأعداء وخاصة المتربص بالشمال الإفريقي والمتعصب ذو العقد الديني ،الإسبان الذي استطاع غزو واحتلال مجموعة من المدن الساحلية...))[2].

وقد أُحتل المرسى الكبير سنة 1505م من قبل القائد "دون دييفو فيرناندیز"، وذلك بعد مجازر رهيبة، والتي تؤكد مدى الحقد الديني الدفين في أنفسهم، و في يوم 19 مايو 1509 م وبقيادة "الكاردينال خيمينيس" فرضت حصار على وهران واستولت عليها وأعلنت مملكة بني زيان التلمسانية خضوعها لهم، كمّا تم لهم احتلال بجاية يوم 5 يناير 1510م، التي كانت خاضعة لأمير حفصي التابع لإمارة قسنطينة الحفصية ويدعى عبد الرحمان، الذي استنجد ابن عمه عبد الله بالإسبان.[3]

وتمكنوا من إخضاع عنابة في نفس السنة وأصبحت مدينة الجزائر تدفع الإتاوة مقابل حفظ الأمن والسلم، وثم إخضاع مدينة مستغانم [4]، ووجهوا حملات عسكرية على مدينة الجزائر قصد السيطرة

---

[1] عطية مُحَّد، **التحالفات الإقليمية والدولية ضد ايالة الجزائر 1541– 1830م** ، أطروحة دكتوراه، تخصص: التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة جيلالي ليابس – سيدي بلعباس، (2019-2020م)،ص 24.

[2] يحي بوعزيز **الموجز في تاريخ الجزائر**، ط2 ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009م، ج2،ص 8.

[3] يحي بوعزيز ، مراجع سابق، ص ص8 – 9 .

[4] نفس المرجع، ص 10.

عليها ومنها حملة "دومونكاد" التي جرت أحداثها في شهر أوت 1519م[1]، وبعد المواجهة بين القوتين تمكنت القوات التركية بقيادة " الرايس خضر" من التخلص من القوة الإسبانية[2].

2- الاستنجاد بالإخوة بربروس:

سطع نجم الإخوة بربروس عروج[3] وخير الدين[4] في البحر الأبيض المتوسط من خلال نشاطهم المتمثل في الجهاد البحري، الذي كانت له عوائد كثيرة من السفن المسيحية، بحيث التجأ الإخوة بربروس في بداية الأمر إلى السلطان الحفصي بتونس لمنحهم مكان لحماية سفنهم ،كونهم أصبحوا بحارة يجاهدون في سبيل الله لنصرة الدين، مقابل تقديمهم لخمس الغنائم[5].

وقد اتفق السلطان الحفصي والإخوة بربروس على منحهم حلق الواد للإقامة فيه بشكل دائم كونه مكان استراتيجي لممارسة أعمال الجهاد البحري وما يتوفر عليه من تحصينات، كما استحدث الإخوة بربروس تحصينات جديدة لهذا الميناء كونه أصبح مركزهم، وذلك بعد خروجهم للبحر عدة مرات إدراكا لأهمية المنطقة وما تتمتع به من موقع جيد للتحرك شرقا وغربا و قربه من الطرق التجارية والضفة الأخرى من أوروبا (صقلية و جنوة)[6].

ولكون الموقع الممتاز الذي التجأ إليه الإخوة بربروس وغايتهم في حب الجهاد في سبيل الله وحب البحر قاما بعدة عمليات بحرية مكنتهم من الاستحواذ على مجموعة كبيرة من السفن، ولعل أن

---

[1] بن عطا الله فاطمة، المرجع السابق، ص 44.

[2] عزيز سامح التر، **الأتراك العثمانيين في شمال إفريقيا**، تر: مُحَمَّد علي عامر، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1989م، ص77.

[3] **عروج**: وهو الابن الثاني ليعقوب ،كان مولعا بركوب البحر، وقع في أسر فرسان يوحنا، و بقي في الأسر إلى أن فر منه وحول نشاطه إلى الجهاد في البحر، فاشتهر أمره واستدعاه بعد ذلك سلطان مصر معينا إياه قائدا على الأسطول البحري، وبعدما شاع أمره استنجد به سكان جيجل، فأجاب طلبهم، وقضى معظم حياته في الجهاد، إلى أن استشهد سنة 1518م... للمزيد يُنظر إلى: ابن رقية التلمساني: **الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة** ، تح: خير الدين سعيدي الجزائري، ط1، أوراق ثقافية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2017م، ص84.

[4] **خير الدين**: اسمه خضر و أشتهر باسم "خير الدين" وكُني باسم بربروس ويقصد بها صاحب اللحية الحمراء، ولد في جزيرة ميدلي سنة (888هـ -1483 م)، يرجع إليه الفضل في إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية، لذا عين أول بيلرباي عليها، ثم أمير أمراء الجزائر في سنة 1534م، ثم قبطان داريا، إلى أن توفي سنة 1546م...للمزيد يُنظر إلى: ابن رقية التلمساني، المرجع السابق، ص83.

[5] خير الدين، **مذكرات خير الدين بربروس**، تر: مُحَمَّد دارج ، ط1، شركة الأصالة للنشر والتوزيع ، الجزائر،2010م، ص 46.

[6] عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص 43.

حادث أسر "عروج" من قبل فرسان جزيرة رودس وقتل أخيهم "اليأس"[1]، قد جعلت الإخوة يحملون الحقد والضغينة على الكفار بسبب معاملتهم السيئة للمسلمين، الأمر الذي زاد من حب الإخوة للجهاد في سبيل الله والتفرغ للانتقام من الكفار ونجدة إخوانهم المورسكيين.

وبهذا الشكل بدأ نشاط الإخوة بربروس يظهر للعيان في البحر الأبيض المتوسط، فقاما بعدة عمليات بحرية، ولعل أبرزها ما استحوذوا عليه من سفن أوروبية حربية عادوا بها إلى ميناء حلق الواد محملون بغنائم كثيرة وبعض الأسرى الأوروبيين[2]، وهو ما جعل نجم الإخوة يسطع إلى أن تداوله معظم سكان ضفاف البحر الأبيض المتوسط، و خاصة في تونس نتيجة ما يجلبونه من الغنائم والأسرى، كما أن العالم المسيحي انزعج من أعمالهم، جراء ما كان يكبدهم نشاط الإخوة الجهادي من خسائر مادية وبشرية، معتبرين أن نشاط الإخوة في هذا المجال تعدي مباشر على سواحلهم أي الوصول إلى عقل ديارهم وفي هذا خطر كبير لما يحمله من اهانة للعالم المسيحي، وبالرغم من ذلك فقد أسهمت هذه العمليات في تزايد عدد السفن ممّا حتم على الإخوة ضرورة البحث على المجدفين وقد تم لهم ذلك عن طريق ما تحصلوا عليه من خبرات من الأسرى الإيطاليين، ومن أبرز أعمال الإخوة في هذا الميدان تمكنهم من الاستلاء على سفينة إنجليزية محملة بأقمشة وسفينة فرنسية محملة بالقمح كما وقع اشتباك عنيف بين عروج والسفينة الإسبانية فتمكن منها وأسر من بها من ركاب[3].

وكما اشرنا سابقا فإن الإسبان قد تمركزوا في معظم سواحل المغرب الأوسط وبسطوا نفوذهم فيه، حيث خضعت أغلب السواحل لهم، ومن مظاهر ذلك الخضوع والولاء تلك الضريبة التي كانت تقدمها بعض المناطق الساحلية في زمن المحدد و على القدر المتفق عليه، فكانت هذه المناطق تحت سيطرتهم نتيجة من عدة أسباب أبرزها ملاحقتهم للأندلسيين وكذلك حقدهم على المسلمين واستنجاد بعض الحكام لهم بعد الصراعات الداخلية حول الحكم، ومنها لا الحصر كمّا ذُكر (بجاية 1510م ، الجزائر 1512م، المرسى الكبير 1505م ، وهران 1509م)[4].

---

[1] خير الدين بربروس، المصدر السابق ، ص 23.

[2] عزيز سامح الترا، المرجع السابق ، ص 44.

[3] نفس المرجع، ص 45.

[4] ناصر الدين سعيدوني، **الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية (الجزائر ، تونس ، طرابلس الغرب)، من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري (من القرن السادس عشر حتى القرن التاسع عشر الميلادي)**، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الحولية 31 ،جامعة الكويت، 2010 م، ص 12.

وبذلك فقد حال نشاط الإخوة بربروس في غرب البحر الأبيض المتوسط دون إمكانية ترك هذه المناطق في أيدي كفار إسبانيا، خصوصا لما أبدو حقدهم الضغين ضد المسلمين، في هذا الشأن يذكر: "خير الدين بربروس" في مذكراته ما نصه: (...كنا نريد التوجه إلى فينوه GENEVIZ" إلا أنه بسبب مخالفة الرياح توجهنا إلى سواحل الجزائر فرسونا أمام قلعة تدعى بجاية...)[1]، التي كانت بها قلعة إسبانية، وبذلك حاول الإخوة تحريرها منهم في معركة دامت ثمان أيام من القصف وفي أخر يوم أصيب "عروج" في يده اليسرى [2] و بترت يده فعاد الإخوة إلى تونس واستقروا بها [3].

وبعد سنتين من المحاولة الأولى تحصل الإخوة بربروس على تأييد القبائل التي كانت تراسلهما لما يشهده من ظلم وأبرزهم الشيخ أحمد بن القاضي زعيم منطقة كوكو وكذلك علماء [4]، حيث لبى الإخوة بربروس دعوتهم وفي طريقهم قرار تحرير جيجل من أيدي الجنوبيين، وذلك لاتخاذها مركز قريب من بجاية ونظرا لتراجع مودة الحاكم الحفصي[5]، خاصة بعد المحاولة الثانية التي قام بها على بجاية ونفاذ مادة البرود التي أرغمتهم على رفع الحصار، بعدما طالبوا من السلطان الحفصي امدادهم بمادة البرود و لكنه أبى بذلك [6].

ثالثًا: انضمام الجزائر للدولة العثمانية

بعد اتفاق مشايخ القبائل والعلماء مع الأهالي على أن الوضع الذي آلت إليه مناطقهم من ظلم وتعسف الإسبان، قرر كل من "أحمد بن القاضي" و"سالم التومي" والعلماء و العقلاء من مدينة الجزائر وما جاورها الالتجاء إلى حماية الإخوة بربروس، وطلب إقامتهم بمدينة الجزائر بعدما كانوا متواجدين في جيجل، وذلك لحتمية الأوضاع التي وصلت إليها المدينة من تقهقر اقتصادي وانحطاط اجتماعي وثقافي وتحكم لمجال السياسي من قبل الإسبان التي كانت متمركزة في قلعة كدية الصابون،

---

[1] خير الدين بربروس، المصدر السابق ، ص 50.

[2] عزيز سامح التر ، المرجع السابق، ص 45 .

[3] نفس المرجع، ص 46.

[4] رحيمة بيشي، **العلاقات السياسية التونسية الإسبانية في اواخر الدولة الحفصية (898-982 هـ ، 1494-1574م)**، مذكرة ماجيستر، تخصص التاريخ الحديث، المركز الجامعي بغرداية، (2011 -2012م) ، ص 61

[5] عزيز سامح التر ، المرجع سابق، ص 47.

[6] رحيمة بيشي ، المرجع السابق، ص 63

بحيث أصبحت مصدر تهديد للمدينة[1]، وهنا شعر الإخوة بربروس برغبة الجزائريين، فتوجه عروج برًا واستجمع معه قوة من سكان القبائل، أما "خير الدين" فتوجه بحرًا و التقيا في مدينة الجزائر، أين استطاع عروج إخضاع مدينة شرشال ثم رجع إلى مدينة الجزائر[2].

كمّا تمكن "عروج" من الاحتفاظ بمدينة الجزائر بالرغم من مؤامرات أولاد "سالم التومي" الذين لجأوا إلى الإسبان، وذلك بمعركة استعمل فيها قوته وذكائه وكذلك مساعدة أمواج البحر التي حطمت السفن وشرع في توسيع نفوذه على حساب الإمارات المجاورة فاستولى على مليانة والمدية والتنس [3].

وبعدما استقر "عروج" في تنس وقام إليه وفد من سكان تلمسان يطلبون المساعدة ضد ملكهم (أبو حمو الثالث 1503م ، 1518 م) المتعاون مع الإسبان ضد أميرهم الشرعي " أبا زيان الثالث " وتمكن عروج من إلحاق الهزيمة "بأبي حمو الثالث" الذي هرب إلى فاس ثم التجأ إلى وهران ليستنجد بالإسبان مرة أخرى لكن محاولة انقلب " أبي زيان الثالث المسعود " جعلت عروج يرتبع على عرش الزيانيين بنفسه ويقتل كل المتآمرين ضده لكن لم يدم طويلا حتى تمكن ابو حمو الثالث من قتله سنة 1518 م[4].

ولتعدد المؤامرات والتهديدات الإسبانية قرر "خير الدين" مغادرة مدينة الجزائر إلا أن علماء وكبراء المدينة و خاصة رجال الدين، الذين كانت لهم رغبة كبيرة في بقائه أصروا على بقائه لتخليصهم من تسلط الكفار عليهم، ألحوا عليه فكرة إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية، لأنها كانت السند الوحيد الذي يستطيع دعم " خير الدين" بالمال والسلاح، وتم إرسال رسالة إلى السلطان "سليم الأول" التي تم نقلها من الجزائر من قبل العالم "أحمد ابن القاضي"[5] إلى السلطان العثماني "سليم الأول"[6]، الذي

---

[1] عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص 50.

[2] يحي بو عزيز ، المرجع سابق، ص 13.

[3] مُحَمَّد خير الدين فارس، **تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني الى الاحتلال الفرنسي**، ط1،جار الشرق العربي، بيروت، 1969م، ص ص24- 25.

[4] أسماء ابلايلي: المرجع السابق، ص 52.

[5] **أحمد بن القاضي**: عمل قاضيا بمدية بجاية سنة 1511م، وهو مؤسس إمارة كوكو...، للمزيد يُنظر إلى: أسماء ابلالي: المرجع السابق، ص 52.

[6] أنظر الملحق رقم: 01 الذي يتناول أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة 1519م.

قام بتعيين "خير الدين" حاكما على الجزائر وأطلق عليه اسم (بايلرباي)، والذي بدوره أنه من الضروري القضاء على السلطات القديمة كونها لم تكن صالحة لهذه الأزمنة .

وبذلك دخلت الجزائر مرحلة جديدة استمد فيها الحكم العثماني شرعيته من قضائه على الزعمات المحلية المعادية لسلطته و انتصاراته التي حققتها ضد الإسبان في السواحل الجزائرية التي أصبحت تسمى "جزائر الغرب" في المراسلات السلطانية العثمانية [1].

إلحاق الجزائر بالباب العالي لم يكن مجرد ظرف إذا أخذنا قول خير الدين ((... إلا أننا منذ استقرارنا بالجزائر كنا مضطرين إلى الانشغال بالأمراء المحليين وأشباههم في الجزائر وتونس والمغرب الذين كانوا مستائين من وجودنا...))[2]، يمكن تحليل قول خير الدين هذا في اتجاهين:

الاتجاه الأول هو أن الاخوة بربروس جاءوا هم أولا لاستكشاف المنطقة وتهيئت الأوضاع لدخول هذه المنطقة تحت لواء الدولة العثمانية، والأستاذ الدكتور ابراهيم سيعود يذهب في هذا الاتجاه وهو أن السلطان العثماني كان يخطط لهذا الأمر ولكن لم يهمله، وأن الوجود العثماني لسابق لتاريخ 1516م/ 920هـ، بل هو يبدأ من 1492م/ 897هـ، وذلك بالعودة إلى رحلة بيري رايس العثماني، و تعاملهم مع المدن الساحلية الجزائرية، والأمراء الحفصيين، وأن ظهور الاخوة بربروس على مسرح الأحداث ما هو إلا مرحلة لاحقة من الاتصال العثماني بالمنطقة[3].

أما الاتجاه الثاني تمثل في طلب خير الدين البقاء في الجزائر، لأنه أراد إلحاقها بالباب العالي، لتصبح لديه القوة لمواجهة التحديات والمخاطر، ولضمان بقاء سلطته أراد ترسيخ نظامه، ونشر نفوذه على كامل المناطق والأمراء المحليين، وإخضاعهم لسلطته، والدولة الجديدة بحدودها السياسية الجديدة، حتى وإن كان يريد رؤية ردة فعلهم على رحليه. فإن إلحاق الجزائر بالباب العالي في تلك الظروف السياسية الصعبة كان أمرا لازما ولابد منه في ظل انعدام سلطة قوية توحد البلاد، ورسالة الأهالي للسلطان العثماني تؤكد ذلك. وهذا تحليلي أنا من خلال قول خير الدين.

---

[1]- يحي بوعزيز ، المرجع السابق، ص 16.

[2] خير الدين بربروس، مصدر سابق، ص 98.

[3]- إبراهيم سعيود، **الاسرى المغارب في ايطاليا خلال الفترة الحديثة من القرن 16 إلى القرن 18م. ومن 10 إلى القرن 12هـ**، شركة الاصالة للنشر، الجزائر، ص 46.

وخلاصة لما تم الحديث عنه في ثنايا هذا المبحث لا يسعنا إلاّ القول بأن الأوضاع المتردية وحالة التفكك السياسي التي شهدتها منطقة المغرب الأوسط أواخر القرن الخامس عشر ومطلع القرن السادس عشر، قد أدت بدورها إلى ظهور موجة الاحتلال الإسباني لأهم الموانئ الساحلية الجزائرية، الأمر الذي أدى لا محالة إلى استنجاد أهالي الجزائر بالإخوة بربروس لتخليصهم من ويلات هذا الاحتلال، ليُتوج ذلك بعد فترة من الزمن بالتحاق الجزائر بالدولة العثمانية سنة 1519م، أين دخلت الجزائر مرحلة تاريخية هامة أصطلح عليها المؤرخيين مسمى " العصر الحديث" أو "العهد العثماني".

المبحث الثاني الجزائر من 1518م/ 924هـ إلى 1552م/ 959هـ:

أولا: أوضاع الجزائر خلال فترة حكم خير الدين بربروس:

اسمه الحقيقي خضر، سمي بخير الدين في مرحلة الجهاد البحري ولكنه بعد وفاة عروج واسحاق بقي خير الدين وحيدا يصارع الأعداء من حوله من كل الجوانب، سلطان تونس من الشرق، والاسبان من البحر والغرب ابو حمو الزياني في تلمسان يستعد للزحف عليه، وأنصار سالم التومي في الجزائر[1] في ظل هذه الأوضاع وضع خير الدين أمامه خيارا، فقد فكر في الرحيل تماما عن شمال افريقيا والعودة الى استانبول[2]. وكما عرضنا سابقا ومن خلال الوثيقة التي أرسلها أعيان الجزائر أنهم طلبوا من خير الدين البقاء في الجزائر[3] وقد عرض عليه الرياس الذين معه عدم الذهاب حتى تظهر نوايا الإسبان[4]. ولمواجهة هذه الأخطار التي في الداخل والخارج فقد قرر مبايعة الخليفة العثماني سليم الأول[5]، وطلب من أعيان وعلماء وكبار مدينة الجزائر مراسلة السلطان سليم[6]، ووضع سلطاته تحت تصرفه وكان سليم

[1] طارق بولودنين، **موسوعة حكام الجزائر من الفتح الاسلامي إلى الإحتلال الفرنسي**، بدون دار نشر، ص 170.

[2] عزيز سامح التر، مراجع سابق، ص 70.

[3] أنظر الملحق رقم 01.

[4] فراي ديغو هايدو، **تاريخ ملوك الجزائر**، أبو لؤي عبد العزيز الاعلى، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 43.

[5] مجهول، سيرة **المجاهد خير الدين بربروس في الجزائر**، عبد الله حمادي، دار القصبة للنشر، ص 105.

[6] إبراهيم سعيود، مراجع سابق، ص 46.

الأول بلغ ملكه مكة والمدينة ومصر وبايعه المسلمون في كل مكان. فمبايعة خير الدين له ستجعل في نظر المسلمين الجزائر تابعة للخلافة الإسلامية[1]. لم يتأخر جواب السلطان سليم على خير الدين حيث استجاب له السلطان العثماني الذي أمده بالمال والرجال واستجاب له المسلمون في الجزائر[2]. وما إن أصبحت الجزائر ايالة عثمانية حتى بدأت الأخطار الداخلية والخارجية والتحالفات تزيد يوما أثر اخر فهذا السلطان الحفصي بتونس يكتب إلى السلطان الزياني فيحذره ويثير مخاوفه من خير الدين الذي أصبح لديه قوة سندا يعينه على مجابهة الأخطار، ويعرض عليه سحب أنصاره ونشر الفتنة بينهم، مثل مُحَّد بن علي وأحمد ابن القاضي، فأخذ سلطان تلمسان يراسل مُحَّد بن علي ((.إني ناصحك ومحذرك من خير الدين غاية التحذير فإنه لابد أن يغدر بك ويستولي عليك فإن أطعتني وقبلت نصيحتي فاصرف وجهك عنه إلى..)) وقد فعل سلطان تونس نفس الشيء مع ابن القاضي[3]. ويؤكد خير الدين هذا القول بأن سلطان تونس لم يكن قادرا على المواجهة كان يحيك المؤامرات مع الاسبان ويحرض الأمراء المحليين مثل السلطان المعزول في تلمسان. وكما أسلفنا الذكر من خلال كتاب المجهول المجاهد خير الدين فقد استجاب السلطان الزياني لذلك وإن كنا لا نعرف كيف استجاب والرسالة وقعت بين يدي خير الدين[4].وهذا التحول في الأوضاع السياسية في البحر المتوسط وشمال افريقيا عامة والجزائر خاصة والذي لم يكن مسبوقا، دفع القوى المحلية والإقليمية للتحالف من أجل العمل على طرد الأتراك، فقد بايع خير الدين السلطان العثماني، فلقد تخوف الدين من عصيان في الدخل من قبل القبائل[5]، وتحالف آخر لحاكم وهران مع بني زيان للعمل على إخراج الأتراك وقد أرسل إلى شارلكان يوضح أهمية الأمر، بحيث أن شارلكان كان ينتظر الفرصة، وجاء تحريض حاكم

[1] طارق بولودنين، مراجع سابق، ص 170.
[2] مجهول، مصدر سابق، 106 – 107.
[3] مجهول، المصدر نفسه، ص 108 – 109.
[4] مذكرات خير الدين، مصدر سابق، ص 100.
[5] عزيز سامح التر، مرجع سابق، ص 74.

وهران وتلمسان منسبا توسعته الاستعمارية[1]، زحف الاسبان على الجزائر من البحر والغرب ومعهم ابو حمو سلطان تلمسان من البر بجيشه فوصل الاسبان في اسطول كبير يتكون من أربعين سفينة على متنها خمسة آلاف رجل. تم وضع الحملة تحت قيادة نائب الصقيليتين كودي منكاد، والقائد الاسباني كونز الفومارينودي ريبرا، انطلق هذا الأسطول من جزيرة صقلية أواخر جويلية ومر على المرسى الكبير وبجاية وتزود بالجند والعتاد وقد وصل أمام مدينة الجزائر في 17 أوت سنة 1519[2]، لكن بفضل الله وعينته للجزائر سلط عليهم عاصفة قوية دفعت سفنهم إلى الشاطئ أين أصبحوا فريسة سهلة في يد الأتراك و الجزائريين فأمر خير الدين بقتلهم انتقاما لأخويه عروج وإسحاق وغنم منهم غنائم هائلة لا تقدر[3] ،فقد غيرت هذه العاصفة وجه المعركة ونتج عنها خسائر عديدة منها: فقدان 26 سفينة وأربعة آلاف جندي وفوجئ الجنود الذين بقوا أحياء من السفن الغارقة بهجوم آخر، ولم يبق منهم على قيد الحياة سوى 600جندي فقط [4] .وقد تمكن خير الدين من إيقاع هزيمة بالإسبان، وشكلت هذه الهزيمة ضربة موجعة لشارل الخامس وهو الذي كان يرى نفسه حاميا للعقيدة المسيحية، بحيث أن فشل هذه الحملة عزز من مكانة خير الدين، ومهد له الطريق للاستيلاء على بقية المقاطعات والإمارات المستقلة[5]. و ها هو خير الدين يسرد لنا كيف خضع له تلمسان حيث أن أحد الأمراء الزيانيين جاء يطلب العون منه ضد أخيه الأكبر المولى للإسبان فأرسل معه قوة ضد أخيه سلطان مولاي عبد الله وقد حرض هذا الأخير الناس ضد الأتراك بعدما أنقذه من الاسبان وما إن وصل أخيه الأمير مسعود مع الأتراك حتى لاذا بالفرار إلى الاسبان في وهران مستغيثا بهم[6].وقد تبرأ

[1] عزيز سامح التر، مرجع سابق، ص 74 - 75.

[2] أحمد توفيق المدني، **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492 – 1792**، دار البصائر، ط3، 2009، الجزائر، ص 189.

[3] طارق بولودنين، مراجع سابق، ص 170.

[4] نيفين مصطفى حسن سعد، **دور الأخوين خير الدين بربا روس وعروج في مقاومة الإستعمار الإسباني في شمالي افريقيا، المؤتمر الدولي الخامس بعنوان العرب والترك عبر العصور**، جامعة قناة السويس، ص 771.

[5] نيفين مصطفى حسن سعد، المراجع نفسه، ص 771.

[6] مذكرات خير الدين، مصدر سابق، ص 103.

أعيان تلمسان من سلطانهم الذي هرب إلى الاسبان وحقق الأمير مسعود نصرا دون سفك قطرة وأغدق على أتباعه وعلى الأتراك وعلى خير الدين بالمال والهدايا. أما خير الدين فقد كان يدرك بأن سلطان تلمسان الجديد سوف ينقلب عليه لذلك أرسل إليه خطابا يذكره بما صنع له، وألا يظلم الناس ويقوم بالعدل، ودفع الضريبة السنوية للجزائر، ولكن هذا الأخير رفض ذلك وتمرد على خير الدين، وما أن علم أخاه عبد الله في وهران بما صنع حتى كتب لخير الدين يناشده استرجاع ملكه، ويذكره بما صنع أخاه، والذي سوف يعينه على استرجاع ملكه، وهي السياسية التي سار عليها خير الدين ومن بعده، ألا وهي ضرب واحد منهم بالأخر((...إلا أن السياسة تقضي بأن نعفو عنه لنضرب به أخاه مسعود...))[1]، ففر مسعود أخو عبد الله عندما سمع أخاه قادم مع ألف من الأتراك، وذهب وتحصن بإحدى القلع خمسة وعشرين يوما، فحاصروه ولكنهم أدركوا بأنه لا فائدة من ذلك فرفعوا الحصار، لكنها كانت مجرد خدعة استعملها لإخراجه هو ومن معه ونجحوا في ذلك، غير أن السلطان المخلوع مسعود هرب مرة أخرى وقبض عليه الجنود فقتلوه[2].وتحارب الأتراك مع الأعراب حيث تم قتل خمسة آلاف من أصل ستة، وتم إعفاء البقية الذين استسلموا، أما السلطان عبد الله الذي تم تنصيبه فقد أحسن للأتراك ودفع لهم عشرين ألف دينار مرفقة بهدايا كثيرة[3] ،وأثناء تنصيب الأمير عبد الله سلطانا، كان خير الدين يحرر مستغانم وقلعة بني راشد، ففرض على تلمسان حصارا بحريا وبريا حتى اضطرها للتسليم بعد فترة قصيرة من الحصار، وهي التي احتلت مع وهران والمرسى والكبير سنة 1506، بعدها توجه إلى قلعة بني راشد وهي التي تمثل حلقة وصل بين تلمسان ووهران، وتم له النصر، وبذلك قطع طريق التوال بين وهران وتلمسان في البر والبحر[4]. وقام خير الدين بتقسيم البلاد إلى قسمين: القسم الشرقي، والذي جعله تحت قيادة أحمد ابن القاضي، والقسم الغربي، جعله

[1] مذكرات خير الدين، المصدر نفسه، ص ص 104 - 105.

[2] طارق بولودنين، مراجع سابق، ص 162.

[3] مذكرات خير الدين، مصدر سابق، ص ص 106 – 108.

[4] محمد دراج، **الدخول العثماني الى الجزائر ودور الاخوة بربروس (1512 – 1543)**، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 1، 1433هـ - 2012م، ص 246

تحت قيادة مُحَمَّد بن علي[1]، يقول خير الدين عن النصر الذي حققه ضد الحملة الاسبانية مستصغر سلطان تونس: ((...فأنا بايلرباي سليم خان انتصرت على ملك اسبانيا الذي يحكم نصف اوروبا...))[2] و لكن لم يدم ذلك طويلا إذ أن سلطان تونس مُحَمَّد الحفصي قرر الهجوم على خير الدين، فالتقى الجيشان وكانت الهزيمة للسلطان الحفصي[3]، غير أن هذا النصر أيضا لم يدم طويلا، بحيث أن سلطان تونس كان على اتفاق مع ابن القاضي وألحق هذا الأخير به خسائر جسيمة، وبعد هذه المعركة التي كبدت خير الدين خسائر كبيرة، وقع في موقف لم يكن يتوقعه، فقتل أغلب جنوده ولم ينج منهم إلا قلة من أصحابه، بعد أن فر إلى مركزه الأول جيجل[4]، وأرسل إلى أسطوله في الجزائر بملاقاته هناك، بينما استولى أحمد بن القاضي على مدينة الجزائر فتقلص نفوذ خير الدين، واقتصر على مدينة جيجل فقط، فقرر خير الدين بعد هذه الأحداث العودة إلى حرب البحر، كونه صاحب خبرة وحنكة فيها من أجل إعادة جيشه واستعاد قوته، حيث جاب البحر الأبيض المتوسط لمدة خمس سنوات مكنته من استرجاع ما كان ينقصه من الرجال والأسلحة، فقرر بعدها العودة إلى الأرض، حيث استولى على القل وسكيكدة وعنابة وقسنطينة ثم زحف على الجزائر واسترجعها من ابن القاضي الذي قتل[5].

واستعاد تنس وشرشال وتم القضاء قارة حسن بعد القضاء على ابن القاضي [6]، وأخضع قسنطينة للمرة الثانية سنة 1526م ودخل في طاعته أمير بني زيان بعد أن عمل على تحريض يحي بن القاضي ليطالب بالثأر لأبيه، فقام بقتله. وبعد وساطة من أعيان وكبار قومه أعاده خير الدين إلى

[1] بسام العسلي، **خير الدين بربروس**، دار النفائس، بيروت، ط 1، 1400هـ/ 1980م، ص 113.
[2] مذكرات خير الدين، مصدر سابق، ص 100.
[3] طارق بولودنين،مراجع سابق، ص 170.
[4] بسام العسلي، خير الدين بربروس، مراجع سابق، ص 171.
[5] طارق بولودنين، مراجع سابق، ص 162.
[6] مُحَمَّد دراج، مراجع سابق، ص 255.

عرش تلمسان على أن يدفع 60ألف دينار إلى الخزينة الجزائرية[1]، وفي سنة 1527م عاد خير الدين إلى الجزائر ففرح ورحب به سكانها، وفي تلك الأثناء أعادت بلاد القبائل توحيد صفوفها وأصبح حسين ابن القاضي أميرا عليها، والذي اعترف بخير الدين سلطانا على الجزائر، فقبله خير الدين ورحب به[2]،وفي سنة 1528م بعد أن استتباب له الأمر في الجزائر عزم على مهاجمة الحصن الاسباني الذي بناه الاسبان في الجزائر سنة 1510م حيث شكل هذا الحصن مشكلة لخير الدين فكان من المستحيل عليه استعمال سفنه في هذا المرسى، وبالتالي كان مضطرا أن يرسو في مكان آخر بعيدا عن مدينة الجزائر فاسترجعه يوم 27 ماي 1529م بعد محاصرته[3]، حيث ظل يقذف بالمدفع ثلاثة أسابيع دون عودة مما اضطر القائد لتسليم الحصن بعد نسيان القائد مارتين دي فرقاس أمر النجدة ولم يبق له سوى 25 من بين مائة وخمسين، وجلد حتى مات في التاريخ دخله خير الدين وقام بطرد الاسبان نهائيا منه[4]، بعد عودته إلى الجزائر واستعادته لنفوذه السابق وسيطرته على تلمسان ثم حصن البنيون، زاد من حدة غضب شارلكان وقرر إرسال حملة على الجزائر لإبادتها نهائيا في سنة 1530م بقيادة أندريا دوريا وتحديدا مدينة شرشال، حيث قام بإنزال قوته بالقرب من المدينة وأرسى سفنه لكي تكون بعيدة عن مدفع القلعة[5] ،وقد كان خير الدين في حالة الاستعداد لهذه الحملة، ولكنه لا يعلم و جهتها تماما فبقي في الجزائر. وعند وصول المعلومات إليه تحرك بالأسطول صوب المدينة فوجد أهاليها قد تصدوا للإسبان بشجاعة كبيرة، وقد انسحب أندري دوريا بعد سماعه أن

[1] أسماء ابلالي، مراجع سابق، ص 55.

[2] كليل صالح، **سياسة خير الدين في مواجهة المشروع الاسباني لاحتلال المغرب الاوسط**، لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، تخصص تاريخ حديث ومعاصر، علي أجقو، جامعة العقيد الحاج لخضر – باتنة، 2006-2007، الجزائر، ص 133 – 134.

[3] أسماء ابلالي، مراجع سابق، ص 55.

[4] شارل أندري جوليان، **تاريخ افريقيا الشمالية**، محمد مزالي – البشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس، 1983، ط2، ج2، ص 329.

[5] إبراهيم سيعود، مراجع سابق، ص 51.

الأسطول الجزائري قد تحرك تجنبا لثقل الهزيمة[1]،وقد خلفت هذه الحملة 600 أسير تسلمهم خير الدين حين دخوله المدينة[2].

وبعد هذه الانتصارات التي حققها خير الدين قرر الذهاب نحو الأندلس وإنقاذ نحو سبعين ألف أندلسي رجالا ونساء في 36 سفينة ذهابا وإيابا، قام بإنزالهم في المدن الساحلية مثل مدينة الجزائر، ودلس، والبليدة وسهل متيجة[3]، ثم كانت الخطوة التالية لخير الدين هي الاستيلاء على تونس. ولكن قبل الاستيلاء عليها تم استدعاءه من قبل السلطان العثماني سليمان القانوني،والذي قام بتعينه قائدا عاما للأسطول العثماني ((اسمع يا باشا....أريد أن أجعلك قبطان داريا لتتولي إدارة أسطولنا السلطاني وقيادته فحروبك المظفرة...))[4]، هذه كانت رسالة السلطان سليمان يأمر خير الدين بالقدوم، ويخبره ببقائه حاكما على الجزائر، ويطلب منه تعين خليفة له. وفي سنة 1534م/ 934هـ قام خيرالدين بتجهيز حملة على تونس، وهذا في إطار الصراع العثماني الاسباني على البحر المتوسط، خشية سيطرة الاسبان عليها ،إذ كان لابد من حملة على تونس و الحاقها بالباب العالي، وإعلان التبعية للسلطان العثماني، حيث ذهب إليها واشتبك مع حاكمها مولاي الحسن الحفصي لكن التدخل الاسباني قلب الموازين، وانهزم خير الدين هزيمة شنعاء، وتم تنصيب حسن الحفصي مرة أخرى، وإعلانه التبعية للسيادة الاسبانية، فرجع خير الدين باشا عندما رأى عدم قدرته على صد زحف الامبراطور شارلكان[5]، بعد احتلال تونس من قبل الاسبان وانسحب من عنابة ثم من الجزائر سنة 1535م. وفي نفس السنة قام الاسبان باحتلال عنابة بعد تنازل حسن الحفصي عنها لهم.

---

[1] شوقي عبد الكريم، **تطور السياسي والعسكري بالجزائر في عهد البيلربايات 1519 –1587م (عهد خير الدين باربروس 1519 – 1546م)**، مجلة الباحث في العلوم الانسانية والاجتماعية، المجلد 13، العدد1، 2022/01/30، ص 377.

[2] إبراهيم سيعود، مراجع سابق، ص 51.

[3] أحمد توفيق المدني، مراجع سابق، ص 208.

[4] مذكرات خير الدين، مصدر سابق، ص 164.

[5] مُحَمَّد العروي المطوي، **الحروب الصليبية في المشرق والمغرب**، دار الغرب الاسلامي، 1998، ط 2، ص ص 269- 270.

وقد تمت مهاجمة المدينة في شهر أوت حيث قاوم الأهالي ثلاثة أيام، ثم انسحبوا ودخلها الاسبان تاركين فيها حامية عسكرية تتولى حاميتها[1]، وقد ظن أن أمر خير الدين قد حسم وأنه لن يعود إلى الجزائر، وكونه توجه إلى القسطنطينية، ولكنه بذكاء عجيب التف من خلفهم وزحف نحو اسبانيا، فاحتل إحدى مدنها الساحلية وعاث فيها فسادا وتخريبا، و أسرا ونهبا في رد قاس على شارلكان، وبعدها عاد بغنائمه وأسراه إلى مدينة الجزائر، وقد ظن أهلها أنه لن يتمكن من العودة أبدا، وفي سنة 1535م استدعاه الخليفة العثماني إليه وأمر بتعيينه قائدا للأسطول العثماني، وهذه تعد ضربة قاسية إلى أعدائه الاسبان والحفصيين والزيانيين، وقد ظل كذلك إلى سنة وفاته سنة 1546م، عن عمر يناهز ثمانين سنة، وقد دفن في العاصمة العثمانية اسطنبول[2].

ثانيا: أوضاع الجزائر خلال فترة حكم حسن آغا:

هو من أصل ايطالي تم أسره سنة في إحدى الغزوات على ايطاليا، وأخذه خير الدين كابن له، تربى في حجره و أصبح من أكبر مساعديه في الحروب، وعندما أصبح خير الدين قائدا عاما على الأسطول العثماني، عينه حاكما على الجزائر وخليفة له[3]، وقد واجه حسن اغا ظروفا صعبة جدا لما كان شارلكان امبراطور اسبانيا قد عزم على تدمير الجزائر نهائيا، ويعود ذلك إلى جملة من الأسباب في رأيي وحسب تقديري، بأن الحملة على تونس وانتصاره فيها على خير الدين، هي التي أعطت الشجاعة لشارلكان ليهجم على الجزائر، ويتبين ذلك من خلال رسالة شالكان إلى حسن آغا، ثم رد خير الدين بهجوم على السواحل الاسبانية، أما الأسباب التي تجمع عليها المراجع التاريخية هي الانتصار العثماني، والهزيمة الاسبانية في معركة بروزة سنة 1538م، وازدياد الهجمات على السواحل

[1] محمد دراج، مراجع سابق، ص 296.

[2] طارق بولودنين، مراجع سابق، ص 172.

[3] طارق بولودنين، مراجع سابق، ص 173.

الاسبانية، وتقارير الجواسيس الاسبانية وتأكيدها على قلة عتاد وعدة الجيش العثماني في الجزائر[1]، وهذا الأخير قوى عزمه بعد مغادرة خير الدين، وزادت همته إذ أنه أراد شراء ذمة حسن اغا نفسه مقابل بقائه حاكما على الجزائر، لكن تحت السيادة الاسبانية بل وأكثر من ذلك أنه أغرى خير الدين بمغريات ضخمة، على أن يتدخل في الحملة التي سيقودها، وقد اظهر له خير الدين وحسن اغا استجابة وهمية بينما كانا يعدان العدة لتدميره[2]، فقدم شارلكان في حوالي أربعين ألفا من جنوده من مختلف الدول الأوروبية في حملة صليبية كبيرة، واستطاع بها النزول على أرض مدينة الجزائر من وادي الحراش وضرب معسكره هناك ((... ولما تم له ما أراد من هذه العمارة، سافر اللعين فيها بنفسه إلى الجزائر فأرسى بجون تمنتوس يوم الخميس، ليلتين بقيتا من جمادى الثانية 948هـ [1541م]، وكان إرساءه وقت العصر...))[3]، وأرسل إلى حسن آغا يطلب منه تسليم المدينة دون شروط ((...أيها الرجل أنت خديم من خدام باربا روش وأنا ملك إسبانيا فكيف تحدثك نفسك بقتالي؟....فتحقق أني مالك هذه المدينة كما ملكت مدينة تونس، وإن لم يكن دفعة واحدة أطاول حصارها حتى الشتاء كله...))[4]، لكن كان الرفض التام هو الجواب ((...يا كلب النصرانية، هل أنت إلا كلب من كلاب النصارى [أنت لا تقدر] على إضعاف بلاد البرابرة فكيف على مدينة الجزائر؟ ولو سمع سلطاننا الأعظم بأنك طغيت على الجزائر، لأرسل إليك عبدا من عبده بشرذمة من عسكره يمحيك بحوله وقوته [أما عملت أن] في عساكر الجزائر ما يقابلك [ويمحي أثرك] ، وسترى عاقبة أمرك، فاجهد كغير موفق وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار...))[5]، نقارن بين الرسالتين نرى أن شارلكان حاول استصغار حسن آغا محاولا تخويفه وتذكيره بما حصل لخير الدين في تونس، ومحاولا إعطاءها أهمية

---

[1] سهيلة رغدي – سمية عشور، **الحملات البحرية الاسبانية على السواحل الجزائرية حملتا شارلكان وأوريلي – دراسة مقارنة 1541 – 1775م**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر تاريخ، تخصص: تاريخ الجزائر الحديث 1518 – 1830م، عمر بوضربة، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، 1440 -1441هـ/ 2019 – 2020م، ص 30.

[2] طارق بولودنين، مراجع سابق، ص 173.

[3] محمد بن محمد بن عبد الرحمن الجيلاني بن رقية التلمساني، مصدر سابق، ص ص 112 – 113.

[4] محمد بن محمد بن عبد الرحمن الجيلاني بن رقية التلمساني، المصدر نفسه، ص 116.

[5] محمد بن محمد بن عبد الرحمن الجيلاني بن رقية التلمساني، المصدر نفسه، ص 117.

أكبر، ومهددا إياه بحصار الجزائر طول الشتاء، ولكن مع كل ذلك فإن حسن آغا كان قويا وشجاعا وفيه مهابة عالية، محاول تخويفه بالسلطان سليمان، ومستصغرا إياه:" أنت لا تقدر على إضعاف بلاد البربر فكيف على مدينة الجزائر"، وتهديده أيضا بعساكر الجزائر ومحو أثره. وبعد هذه الرسالة قرر شارلكان بدء الهجوم بسفنه البالغ عددها 516 سفينة[1]. فبدأ حسن آغا بتعبئة سكان المدينة و تذكيرهم بالنصر في الحملات السابقة في عهد بابا عروج وخير الدين باشا، وبأن النصر سوف يكون حليفهم[2].

حاول سكان المدينة منع الاسبان من القيام بعلمية الإنزال، ولكن تراجعوا أمام هول قذائف العدو، فاعتقد الاسبان بأن السيطرة على مدينة الجرائر أمر سهل، لذلك تركوا عتادهم ومؤنهم في السفن، وفي الليل قامت فرقة من الجيش بشن هجوما مباغت للإسبان كبده خسائر كبيرة ، وفي الموالي أمر شارلكان بقصف المدينة ولكن رد المدفعين بقذاف المدفعية اضطر الجيش الاسباني على الانسحاب إلى رأس نافورة قرب باب عزون، على الساحل الشمالي، لتشن عليهم فرقة من السكان هجوما خاطفا على الجناح الأيسر، وأمام هذا الوضع الصعب من المقاومة الشديدة اهتدى شارلكان إلى احتلال المرتفعات المحيطة بالمدينة، حتى يتحصن بها ويراقب من خلالها كيفية سير عملية الاحتلال[3].

لقد تمكن من احتلال كدية الصابون واتخذها قاعدة عسكرية له للسيطرة على مدينة الجزائر، وقد قام الجزائريون بوضع خطة تقضي على الجيش الاسباني في معركة حاسمة، وبعد عدة مواجهات عنيفة طيلة يوم 24 من أكتوبر، والتي استمرت حتى الليل .لا يزال الأمل باقيا في قلوب الغزاة باحتلال

[1] مُحَمَّد العروي المطوي، مراجع سابق، ص 271.

[2] مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عبد الرحمن الجيلاني بن رقية التلمساني، مصدر سابق، ص 113.

[3] طاهر تومي، **العلاقات الجزائرية الاسبانية ما بين القرنين السادس عشر والثامن عشر على ضوء المصادر المحلية**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، عبد القادر صحراوي، جامعة جيلالي اليابس – سيدي بلعباس، 1435هـ – 1436هـ / 2014 – 2015م، الجزائر، ص 103.

المدينة[1]، ولكن جاءت الرياح بما لا تشته سفن شارلكان اذ قلبت عاليها سافلها ودمرت معظم أسطوله، فأحدث ذلك فوضى في صفوف جيشه، وقذفت الريح بالسفن إلى الشاطئ وانقض عليها الجزائريون والأتراك قتلا ونهبا في نهاية مأساوية للصليبين وزعيمهم الذي فر والبقية الباقية من جنوده تاركا معظم جيشه جثثا هامدة، ومعهم كنوز لا تعد ولا تحصى، والتي نهبوها من الهنود في أمريكا فرسمت هذه المعركة صورة مرعبة للأوروبيين عن قوة الجزائر التي لا تقهر[2].

فهذا النصر أعطى نتائج في الداخل والخارج، على المستوى الداخلي: استغلال حسن آغا هزيمة الاسبان وانتصاره عليهم بأن زحف نحو تلمسان، ثم بسكرة والزيبان الذي ادخل تحت نفوذه[3]، واستشهاد ألفين من المسلمين ما بين عرب وبربر وعثمانيين، فعمت أجواء الفرح والسرور على المسلمين بعد هذا النصر المظفر للجيش الجزائري، وقام حسن آغا بمراسلة السلطان سليمان يبلغه بهذا النصر وعلى هذه البشارة أرسل السلطان سليمان خلعة عظمية إلى حسن آغا وتم تثبيته نائبا عن المدينة[4].

أما على المستوى الخارجي والاسباني: انهزام الجيش الاسباني بقيادة شارلكان أمام قوات حسن آغا هزيمة نكراء لم تعرف هزيمة مثلها في ذلك العصر[5]، وكذلك انسحاب إمبراطور اسبانيا من المعركة يجر أذيال الهزيمة، وطرد حسن أغا له، وقتل من معه، وظهوره بمظهر الشجاع المقدام، وكسبه عددا كبيرا من الأسرى والغنائم والجياد وأشياء أخرى كثيرة لها أثمانها، وقد قام حسن آغا بتوزيع غنائمه ولم

[1] سهيلة رغدي – سمية عشور، مراجع سابق، ص 39.
[2] طارق بولودنين، مراجع سابق، ص 173.
[3] سهيلة رغدي – سمية عشور، مراجع سابق، ص ص 41 – 42.
[4] سهيلة رغدي – سمية عشور، المراجع نفسه، ص 42.
[5] طاهر التومي، مراجع سابق، ص 104

يحتفظ بشيء لنفسه[1]، كما بلغ تعداد خسائر القوات الاسبانية 16 مركبا من غليوطة، و140 سفينة ناقلة للجنود، ومدفعية ثقيلة وآلات الحصار والزاد والخيام[2].

أما النتائج من الناحية السياسية: تمثلت في فشل المخطط الاسباني الرامي إلى الاحتلال شمال إفريقيا، ونزول أخبار الهزيمة على أوروبا مثل الصاعقة، وتراجع نفوذ شارلكان في اوروبا، فلم يبق له حليف غير هنري الثالث ملك إنكلترا، ثم إن هذه الهزيمة أضعفت معنويات شارلكان فتنازل عن الحكم واعتزال في أحد الأديرة، ففرح الفرنسيون فرحا ساوى فرح الجزائريين ووفاقه، وعقبى ذلك بادر ملك فرنسا إلى عقد معاهدة مع السلطان سليمان القانوني[3].

بعد هذه الهزيمة التي مني بها الاسبان توجه حسن آغا نحوه مستغلا هذه الفرصة لقمع التمردات ونيران العصيان، أولهم ملك كوكو الذي تحالف مع شارلكان في الهجوم على مدينة الجزائر ويدعم بالفرسان المسلحين ببنادق، ولكن سرعان ما علم بالهزيمة التي مني بها شارلكان وجيشه حتى عاد أدراجه إلى مقره ، وحين علم حسن آغا بهذا التعاون حتى نهض إليه يعاقبه بعد مرور فصل الشتاء ودخول فصل الربيع في نهاية شهر أبريل 1542م/ 949هـ[4]،بحيث يقدم عليه بـ ثلاثة آلاف تركي مسلحين بالبنادق، وألفان من الفرسان الموريين ((البربر)) والأعراب، وألف من الوريين واثني عشر مدفعا تجرها عربات، الكثير منها من العيار الخفيف، فلاحظ الملك كوكو الفرق الموجود بين قوته وقوات حسن آغا فقرر الاستسلام ودفع له المال وعدد كبير من الثيران، وجمال وأغنام، وتعهد بدفع الاتاوة السنوية، وكقعاب له أخذ ابنه رهينة والبالغ من العمر 15 سنة وكان اسمه "سيد أحمد ابن القاضي" وهذا حسن آغا يعود دون أن يحارب ملك كوكو[5]. بعد ذلك توجه نحو الشرق حيث سار إلى بسكرة وهي الحملة الأولى من نوعها نحو الصحراء، فحصل على خضوع السكان له، وعاد مع

[1] فراي ديغو هايدو، مصدر سابق، 75.

[2] مُحَمَّد دراج، مراجع سابق، ص 320.

[3] مُحَمَّد دراج، المراجع نفسه، ص ص 322 – 323.

[4] عائشة غطاس و زكية وزهرة وآخرون، **الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، ط خ، ص 33.

[5] فراي ديغو هايدو، مصدر سابق، ص 76.

فرقته من بسكرة إلى قسنطينة على بوعكاز قائد العشائر العربية، الذواودة الذين كانوا يهيمنون على المنطقة. لقد منحه حسن آغا قفطان توليته على البدو تحت اسم شيخ العرب[1]، وبعد الانتهاء من الناحية الشرقية توجه حسان أغا إلى الغرب تملسان التي كان أميرها أبو عبد الله مُحَمَّد متعاونا مع الاسبان، فزحف إليها وعزله ونصب مكانه أبو زيان أحمد حاكما خلفا له، ولكن هناك بعض المراجع تقول بأن حسن آغا رجع بعد أن أرسل إليه حاكم تلمسان برسل وهدايا ثمينة[2] ويؤكد على ذلك هايدوا، إلا أن هايدوا يذكر الحرب التي حصلت بين أميرين كل ومن يدعمه، وأنا في رأيي أنه احتمال كبير أن حسن آغا عزل أبو عبد الله مُحَمَّد وعين مكانه أبو زيان أحمد، ووقوع الحرب دليل على ذلك، إذ أن أبو عبدالله لم يسلم بسهولة إذ لجأ إلى الإسبان في وهران لاستعادة عرشه، لكنه توفي فلجأ الاسبان إلى ابنه الثاني أبو مُحَمَّد عبد الله شقيق أبي زيان وساروا به إلى تلمسان حيث جرت بينهم حروب طويلة انتهت بهزيمة الاسبان وأبي مُحَمَّد وفرارهم إلى وهران مرة أخرى[3] .وفي هذه الظروف توفي حسن آغا فجأة بعد قمعه للتمردات و أخذ مكانه الحاج بكر1543م - 1544م وقد دام حكمه سنة واحدة. ثم يعين الديوان الهمانوني حسن ابن خير الدين[4].

ثالثا: الأوضاع خلال فترة حكم حسن باشا ابن خير الدين:

علم السلطان بوفاة حسن آغا حسن في الجزائر، والذي اختلفت المصادر والمراجع في تحديد تاريخ وفاته، فهذا ابن المفتي يقول بأنه توفي في رمضان 948هـ الموافق لي 1545م وتولي حسن آغا كان سنة 952هـ - 1545[5]، ولكن معظم المراجع التاريخية تؤكد بأن حسان باشا تولى في سنة 1544، فقد يكون قد وصل إلى الجزائر في أواخر سنة 1544م، وكان هذا التعيين من قبل السلطان العثماني اعترافا بخدمات خير الدين للجزائر والدولة العثمانية، فحسن ابن خير الدين هو من

---

[1] إلهام عبد النبي - مريم قروي، **الحملات العسكرية على الصحراء الجزائرية خلال العهد العثماني**، مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ، تاريخ المغرب العربي الحديث، بوبكر مُحَمَّد السعيد، جامعة غرداية، الجزائر، 1440 – 1441هـ/ 2019 – 2020م، ص 30.

[2] عائشة غطاس – زكية وزهرة آخرون، مراجع سابق، ص 33.

[3] طارق بولودنين، مراجع سابق، ص 173.

[4] عائشة غطاس – زكية وزهرة آخرون، مراجع سابق، ص 33.

[5] بن المفتي حسين بن رجب شاوش، **تقييدات ابن في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها**، فارس كعوان، بيت الحكمة، الجزائر، 2009، ط 1، ص 40.

زوجته الجزائرية، وهو الذي تربى بين أهالي وعلماء الجزائر، وكانت أمه سليلة إحدى البيوت الجزائرية الكبيرة[1]، فعمل على تحصين مدينة الجزائر وتحقيق الاستقرار والأمن، ومواجهة العدو الصليبي في السواحل الجزائرية، فتمكن من العديد من المدن الساحلية[2]، ثم راح يتصدى لتمردات قبائل مليانة واخضاعها نهائيا[3]، ثم واجه انقلاب أحمد أبو زيان، وقد تولى الحكم بدعم من العثمانيين ثم انقلب عليهم، وخضع للإسبان مما أدى هذا إلى كره الرعية فقررت خلعه عن العرش ومبايعة وتثبيت أخيه الحسن على العرش، فذهب إلى الاسبان طالبا منهم الدعم[4] ، والسير إلى مستغانم لملقاة حاكم وهران الاسباني الكونت الكويت الذي أراد احتلالها مؤيدا من قبائل بني راشد وبني عامر، وقد توجه هذا في فصل الربيع غير أنه ما كاد يصل إلى عين تموشنت حتى سمع بأن سكان أهل تلمسان استنجدوا بالأتراك، و أن حسان باشا قد سار إليه وهو ينتظر توغله في المناطق الداخلية، ليفاجئه ويحمل حملة يقطع بها خط رجعته. وكان حسان باشا رفقة ثلاثة آلاف تركي مسلحين بالبنادق صبايحي وعشرة مدافع، وانضم له في الطريق حميد العبيدي شيخ تنس في ألف فارس. وما أن سمع الكونت الكوديت بهذه الأنباء حتى عاد أدراجه لمواجهة حسان باشا، وعسكر في مكان قريب، يستعد لمواجهته[5]. ولكن نبأ وفاة والده خير الدين جعله يضطر للعودة إلى الجزائر، خشية من انقلاب محتمل يقوم ضده على اعتقاد أنه قد فقد سنده، وأن الدولة الآن لمن غلب[6]، وما أن سمع الاسبان بعودة حسان باشا حتى قرورا اللحاق به إلى مستغانم حيث أدركوه وأرادوا القضاء عليه، ولكنه صد هجومهم وأفشلهم[7]، حيث أنه كان ذكيا فأقام حصن مستغانم جيدا وطلب المدد من تلمسان، وحاول الاسبان رفع راياتهم

---

[1] أحمد توفيق المدني، مراجع سابق، ص 301.

[2] صليحة سليماني، **بناء أسس الدولة الجزائرية الحديثة في عهد البيلربايات (1519/1587م)**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر أكاديمي في التاريخ، تخصص تاريخ الجزائر الحديث، قويدر عاشور، جامعة مُحَّد بوضياف – المسيلة، 1439-1440هـ/2018-2019م، ص ص 27 - 28.

[3] عائشة غطاس – وزكية وزهرة وآخرون، مراجع سابق، ص 34.

[4] صليحة سليماني، مراجع سابق، ص 28.

[5] مبارك بن مُحَّد الهلالي الميلي، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، ج3، ص 84.

[6] صالح عباد، **الجزائر خلال الحكم التركي**، دار هومه، الجزائر، 2012، ص 72.

[7] عبد الكريم شوقي، **تطور الوضع السياسي والعسكري في عهد البيلربايات بالجزائر 1519م – 1587م عهد البايلربايات خلفاء خير الدين بعد وفاته (1546م –1587م)**، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، المجلد 07، العدد 03 ديسمبر، 2021، ص 195.

عدة مرات ولكنهم منوي بالهزيمة. فاستمرت المعركة أسبوعا، حيث هزم الحاكم الاسباني شر هزيمة ولم يلحق بعاصمته إلا بشق الأنفس، وقام حسان باشا بمطاردة الذين استطاعوا النجاة حيث تملكهم الخوف والفزع جراء ذلك التتبع العنيف، ولم يستطع قادة الاسبان جمع شتات جيشهم وصد الهجوم الإسلامي عليهم إلا بشق الأنفس، ولم يتمكن من الوصول إلى وهران إلا بعد الاختفاء وراء أسوارها بجهد جهيد[1].

وبعد عودته إلى الجزائر علم أن الخليفة العثماني عينه قائدا عاما على كامل الأسطول العثماني خلفا لأبيه، وتكريما له، فقرر مباشرة طرد الاسبان من وهران، وذلك بطلبه من حاكم تلمسان وحاكم فاس الشريف مساعدته في الزحف نحو وهران من الجهات الثلاث وتحرك الجميع كما اتفق[2] إلا أن مُحَّد الحران ابن مُحَّد الشريف سلطان المغرب غير الاتجاه، وسعى لضم تلمسان إلى المغرب الذي توسع ووصل إلى مستغانم، ثم واد الشلف، وإثر فشل حسن قورصو في إجلائهم عن تلمسان، وانسحابه أمام وصول التعزيزات السعدية، أمر حسن باشا بأن يرسل إليه حسن قورصو لإعداد حملة ثانية بقيادة القائد صفا[3]، قوامها خمسة آلاف جندي مسلحين بالبنادق وآلف جندي من الصبايحية، وثمانية آلاف من القبائل التابعة لبعد أمير بني عباس، وعشرة مدافع. وتمت هزيمة السعديين حتى إجلائهم من كامل الأراضي الجزائرية إلى واد ملوية[4]، ومات في هذه المعركة عبد الرحمن ابن سلطان المغرب الذي لقي حتفه في هذه الهزيمة [5].

وفي خضم هذه الأحداث تم استدعاء حسن باشا من قبل الباب العالي، واستدعي إلى اسطنبول حيث بلغت الأنباء إلى السلطان بأن حسن باشا يسعى إلى الانفصال عن الدولة العثمانية وهذا الأمر كان من فتنة السفير الفرنسي حين رفض حسان باشا الرضوخ لمطلبه المتمثل في الهجوم على

[1] أحمد توفيق المدني ، مراجع سابق، ص 303.

[2] طارق بولودنين، مراجع سابق، ص 175.

[3] كل المرجع والمصادر تقريبا تجمع على قيادة حسن قورصو ولا تذكر القائد صفا.

[4] عبد الكريم شوقي، مراجع سابق، ص 196.

[5] طارق بولودنين، مراجع سابق، ص 175.

الاسبان ، فسعى الفرنسيين لدى الباب العالي لإثارة مخاوف السلطان فتم عزله[1]، وإن كان السلطان العثماني برر سبب العزل في الرسالة التي أرسلها للسلطان السعدي مُحَمَّد الشيخ الذي سوف نأتي على ذكره. وخلال هذه الفترة اهتم حسن باشا ببناء قصبة الجزائر وبناء مستشفى للانكشارية خاصة كبار السن[2].

وخلاصة القول أو الفكرة التي يمكن الخروج بها في هذا الفصل هو أن المغرب الأوسط كان يعاني من أوضاع سياسية صعبة جدا، نذكر منها: التفكك السياسي والصراعات الداخلية والتراجع الاقتصادي والآفات الاجتماعية و رغبة المغربين الأقصى والأدنى ضمه لهم في الاطار الارث الموحدي والتحرشات الأجنبية التي أضعفت السلطة الزنانية وجعلها غير قادرة على الإمساك بزمام الأمور، وهذا ضعف موجود في الدولة، كذلك تعدد الإمارات المتناحرة فيما بينها جعل البلاد غير قادرة على مواجهة الاحتلال الاسباني الذي سيطر على أغلب السواحل، وجعل السيطرة للإسبان وأصبح الوضع خطيرا بالنسبة للمسلمين الذين أصبحوا تحت السلطة الاسبانية المسيحية، التي قدمت للشمال إفريقيا وهي تحمل في وجدانها نشر الديانة المسيحية، وفي ظل انعدام الأمل في توحيد الصفوف ضد العدو وضعف السلطة الحاكمة كان لابد من إيجاد حل جزري وكان هذا الحل موجودا في القوة القادمة من الشرق متمثلة في الإخوة بربروس الذين سطع نجمهم في حوض البحر الأبيض المتوسط، والذين عرفوا بإنقاذ المسلمين الأندلسيين والمواجهات مع الاسبان، والجهاد في عرض البحر زاد من شهرتهم حتى وصلت الجزائر، فطلب أعيانها وسكانها المساعدة منهم، من أجل الوضع الخطير الذي آلت إليه البلاد، فاستجابوا لطلبهم، والذي سيجعل من الجزائر قاعدة لحكمهم. وفي سنة 1518 بعد وفاة بابا عروج قرر خير الدين إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية، فطلب من أعيانها إرسال وفد إلى السلطان العثماني، وهذا بعد أن طلب منه الأعيان البقاء في الجزائر، فكان الإخوة بربروس النوة الأولى

[1] عزيز سامح التر، مراجع سابق، ص ص 182 – 183.
[2] طارق بولودنين، مراجع سابق، ص 175.

لقيام دولة الجزائر، فاستغل الإخوة تفرق البلاد وتعدد الإمارات المحلية لتوحيدها تحت سلطتهم، ولخلق الجزائر بمفهوم دولة، وخروجها من مرحلة تقلص الحدود، بفعل الأوضاع السياسية وظهور الأوضاع الجديدة لتعهدها المنطقة بالكامل، من التحرشات الأوروبية والتدخلات المغربية.

وبعد إرسال وفد من الجزائر الى استانبول كان السلطان سليم الأول على رأس الدولة العثمانية ،وكان قد غزا مصر وبلاد الشام، وقام بضمهم للدولة العثمانية، وعندما أقبل عليه وفد الجزائر طلبا منه الانضمام لهذه الدولة الإسلامية، التي كانت خلال هذه الفترة هي الدولة الوحيدة القادرة على حماية العالم الإسلامي من الأخطار المحيطة به، وافق السلطان على طلبهم، وعين خير الدين (خضر) بيلرباي على الجزائر (أمير الأمر الجزائر)، بعد إلحاقها بالدولة العلية، وأصبح عند خير الدين قوة لمواجهة الأخطار، وقد كانت الجزائر تمر بمرحلة خطيرة من التفكك السياسي للبلاد وتطاحن الإمارات المحلية فيما بينها، والاحتلال الاسباني والاتحاد فيما بينهم، فاشتملت الرؤية على ضرورة توحيد البلاد تحت سلطة سياسية واحدة، ولكن هذا لم يكن سهلا بالنسبة لعروج الذي فقد حياته في سبيل هذا، ثم خير الدين وخلفائه الذين واجهتهم صعوبات في الداخل في سبيل توحيد البلاد تحت سلطة واحدة في مدينة الجزائر و ولسبيل منع ذلك قامت الإمارات المحلية والسلطان الحفصي والزناني بإنشاء تحالفهم والتعاون مع الاسبان الذين يعدون خطرا على المسلمين، ولكن هذه التحالفات لم تكلل بالنجاح رغم قوتها، والتي كان في مواجهتها تلك الحملات ذات الطابع الصليبي وكان النصر فيها للمسلمين كبيرا، ومن أشهرها التي كانت سنة 1519 في مرحلة خير الدين وحملة شارلكان سنة 1541م ورجوعه منها مخذولا. ففي كل مرحلة أو كل ما كان يأتي حاكما جديدا كان يواجه تمردا وتحالفا من خير الدين إلى ابنه حسن باشا خاصة الزنانين ولكنهم أخضعوهم لسلطتهم وفرضوا عليهم ضرائب جديدة، إلى سنة 1551 التي سوف تشهد دخول عنصر ثالث في إطار إخضاع تلمسان، وهم السعوديون الذين سوف يغيرون الأوضاع السياسية، وكل هذا بعد إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية سنة 1519، في إطار الصراع الإسلامي المسيحي (العثماني – الاسباني) وهي خطوة أولى من أجل السيطرة على حوض البحر الأبيض المتوسط وشمال إفريقيا وعثمانة بلاد المغرب ثم تحرير الأندلس.

الفصل الثاني

حملات صالح رايس العسكرية

1552 م/ 959هـ _1556م / 963هـ

1. المبحث الأول: نبذة تاريخية عن حياة صالح رايس
2. المبحث الثاني: الجزائر خلال عهد صالح رايس (م1552 / 959هـ _1556م / 963هـ)
3. المبحث الثالث: حملات صالح رايس العسكرية (م1552 / 959هـ _1556م / 963هـ

الفصل الثاني: حملات صالح رايس العسكرية:

مرت الجزائر في بداية الحكم العثماني بأوضاع داخلية وخارجية هامة، ذلك ما أدى ببعض الحكام مثل صالح رايس بالقيام بحملات عسكرية داخلية لردع المتردين، وخارجية للتصدي للأعداء في الخارج. فيا ترى من هو صالح رايس؟ و كيف كانت الجزائر في عهده؟ وما هي الدوافع والأسباب التي جعلت صالح رايس يقوم بهذه الحملات العسكرية؟ وما هي حيثياتها ونتائجها؟.

سوف نتطرق في هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث، بحيث نتناول في المبحث الأول لمحة عن حياة صالح رايس، أما المبحث الثاني سوف نتطرق فيه إلى الجزائر في عهد صالح رايس، وذلك بالحديث بشكل عام عن الأحداث التي وقعت في عهده. أما المبحث الثالث سوف نتكلم فيه عن الحملات التي قادها داخل وخارج الجزائر، منها حملات داخلية وأخرى خارجية.

المبحث الأول: نبذة تاريخية عن حياة صالح رايس:

أ – نشأته و تكوينه:

يذهب الكثير من المؤرخين إلى أن صالح رايس من أصل عربي وأنه ولد في مصر سنة 1488، في حين يذهب البعض برأيه إلى أنه ولد في غربي الأناضول، وأن أصله يعود القازدغلية وعلى رأسهم عزيز سامح التر الذي يرى أن صالح رايس كان رفيق آل بربروس عروج وخير الدين، وعهد إليه بعمليات، وهو شيء مؤكد لدى جميع الدراسات ولكن هل تعامل مع عروج أم لا؟ هذا ما لم نجده في المصادر والمراجع الأخرى. ويقول أيضا أنه أسري في إحدى الغزوات وتم إنقاذه، بحيث يشير عزيز سامح التر إلى أنه نقلها عن صاحب تحفة الكبار[1]، ولكن لم يذكر عند البقية غير أنه ولد في مصر. ومنذ مجيء

[1] عزيز سامح التر، المراجع سابق، ص 184.

السلطان سليم للقضاء على دولة المماليك في مصر ذهب صالح رايس[1]إلى إسطنبول مقر الخلافة العثمانية، ومن بعدها إلى بلاد البربر حيث وضع نفسه في خدمة خير الدين الذي أعجب به وبشجاعته [2]، ولم تذكر المصادر الكثير عن حياته، فيذكر عزيز سامح التر أنه تزوج من ابنة سلطان كوكو، وأنجبت له طفلا سماه مُحَمَّد، والذي أصبح أمير أمراء الجزائر[3]، فلا أعرف مدى صحة هذا الأمر، باعتبار أنه حسب بحثي المتواضع لم أجد هذه المعلومة إلا عند هذا المؤرخ الذي يقر بأن لديه ولد اسمه مُحَمَّد، وأصبح حاكما على الجزائر لكن دون معرفتي أصل أمه.

و في سنة 1529م بدأ نجمه يسطع في طليعة رياس البحر في الجزائر، أما في سنة 1535م كان من ضمن الذين رافقوا خير الدين إلى اسطنبول وأبرز القادة العسكرين سنان باشا ودرغوث باشا إلى أن أتى يوم تسليم قيادة الأسطول العثماني، فقاد أهم تشكيلة بحرية عسكرية ، وفي سنة 1543م إبان الحملة على السواحل الاسبانية تم إرساله من قبل خير الدين على رأس 22 سفينة حربية إلى تولون، والتي زرع فيها الخراب في جزر روراس وفي بلاموس، فزادت شهرته نظرا للدور الحاسم الذي أداه في معركة لابريفيزا، والتي قاد فيها تشكيلة من السفن، ثم عرض عليه خير الدين قيادة سفينة السلطان الشخصية التي يستعملها في سياحته ونزهاته، وهذه مهمة لا تمنح لأي شخصية بل تمنح للأشخاص المقربين من السلطان والذين يحوزون ثقته الشخصية [4]ثم كنائب للقائد العام للأسطول العثماني[5]ثم قائدا للأسطول العثماني [6]ومثله مثل خير الدين ودرغوث كانت له تجربة في أقطار المغرب والصراعات السياسية والعسكرية الحاصلة في النصف الغربي من البحر الابيض المتوسط.

---

[1]- Moulay Belhamissi: **Marine Et Marins D'alger (1518- 1830)**,T1, Les Navires Et Les Hommes, Bibliotheque Nationale D'algerie, Alger, 1996, Pp 142-143.

[2] م م ش زغار مُحَمَّد مختار، **صالح رايس بطل الوحدة والجهاد**، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، المجلد الثاني، العدد الربع جويلية 2020،ص 91.

[3] عزيز سامح التر، مراجع سابق، ص 196.

[4] م م ش زغار مُحَمَّد مختار، مراجع سابق، ص 91.

[5] المنور مروش، **دراسات عن الجزائر في العهد العثماني القرصنة والاساطير والواقع**، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009، ج2، ص125.

[6] م م ش زغار مُحَمَّد مختار، مراجع سابق، ص 91.

و في يناير 1552م الموافق لـ 959هـ، تم تعيين صالح رايس من طرف السلطان العثماني سليمان القانوني، ونال تزكية منه، إذ بعث السلطان رسالة إلى أعيان مدينة الجزائر يخبرهم فيها بتعيين الوالي الجديد[1]، وبحسب ما ذكر هايدوا فإن صالح رايس وصل نهاية شهر أبريل 1552 إلى الجزائر مع عشرة سفن شراعية[2].

ب – إنجازاته، نجاحاته وأهدافه:

يعد صالح رايس من الشخصيات النادرة في تاريخ الجزائر العثمانية من حيث القوة، بحيث امتلك الحكمة والقدرة على ضبط وتسيير الأمور في ايالة الجزائر، حيث أصبح من الشخصيات التي رسخت اسمها في التاريخ، فعرفه العدو و الصديق. فقد كان من رفاق خير الدين وأدى دورا بارزا خلال فترة خير الدين وبعده، حيث أننا ذكرنا سابقا أنه عين قائدا للأسطول العثماني، وهذا نظرا للنجاحات التي قدمها، فتم تعينه في جمادى الأولى 959هـ/ نهاية شهر أفريل 1552م، وقد واصل صالح رايس الجلوس على عرش الجزائر، حيث كان أول الأعمال التي قام بها:

- قمع تمرد تقرت ورقلة في أوائل أكتوبر 1552م[3] ، ثم قيامه بحملة تأديبية ضد قلعة بني عباس[4].
- يذكر مرمول دور صالح رايس في تحرير طرابلس الغرب ((...كان درغوث وصالح الريس يوجدان ضمن هذه القوات، فأمر بإحراق قصر بصقلية ونهب الجزيرة غوزة، ثم توجها إلى طرابلس. وفي 4 غشت 1551، نزلت القوات التركية برأس أنجيل قرب الميناء...))[5].
- انتصاره على أسطول البرتغال، واستخلاصه السفن منه، وأخذه لأبي حسون السلطان الوطاسي واستعماله كورقة رابحة له من أجل الدخول إلى المغرب، والقيام بحملة عليها في

[1] المنور مروش، مراجع سابق، ص 125.
[2] فراي ديغو هايدو، مرجع سابق، ص 98.
[3] مبارك بن مُحَمَّد الهلالي الميلي، مراجع سابق، ص 81.
[4] مبارك بن مُحَمَّد الهلالي الميلي، المراجع نفسه، ص 82.
[5] مارمول كربخال، **افريقيا**، مُحَمَّد حجي وآخرون، دار النشر للمعرفة، الربط، المغرب، 1408 – 1409هـ /1988 – 1989م، ج2، ص 124.

السنة الثالثة من حكمه[1]، ورسم حدود ايالة الجزائر مع المغرب، كما أنه وقف في وجه مُحَمَّد الشيخ وأطماعه التوسعية وتحالفه مع الاسبان والبرتغال[2].

- النجاح في طرد الإسبان من بجاية نهائيا سنة 1555، وسعيه لطردهم من وهران غير أن الموت حيل بينه وبين هدفه[3].

. – في 5 جويلية من سنة 1553م خرج صالح ريس بأسطوله المكون من حوالي 40 سفينة شراعية غازيًا في البحر، فهدد السواحل الاسبانية ثم ولى أدراجه، وبعد ثلاث سنوات من هذا التاريخ، توجه لتحرير مدينة وهران من قبضة الاسبان على رأس 30 قادسة أو غليوطة[4].

- لقد كان لصالح رايس سياسة تهدف إلى تحقيق أهداف عبر عنها توفيق أحمد المدني وعلي الصلابي:
  - أولا: تحقيق الوحدة بصفة تامة ومطلقة بين كل أجزاء هذه الايالة الجزائرية[5].
  - ثانيا: إدخال بقية الصحراء الجزائرية ضمن هذه الوحدة حتى يتفرغ للأندلس، أما السياسية الحربية الخارجية فقد كانت ترمي إلى ثلاثة أهداف: إبعاد الاسبان نهائيا عن أرض الجزائر،

[1] مبارك بن مُحَمَّد الهلالي الميلي، المراجع نفسه ، ص 83.

[2] نبيل تيشش، عطية عبد الكامل، **محاولات تحالف مُحَمَّد السعدي مع الصليبيين الاسبان ضد الجزائر خلال النصف الثاني من القرن 16م – قراءة في الدوافع والنتائج**، مجلة معارف البحوث والدراسات التاريخية، المجلد الثامن، العدد الاول، ص 17.

[3] فراي ديغو هايدو، مصدر سابق، ص 108.

[4] Albert Devoulx **: la marine de la régence d'Alger**, in Revue Africaine, N77, année 1869, p 08.

[5] أحمد توفيق مدني، **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492 – 1792**، الشركة الوطنية للنشر التوزيع، الجزائر، ص 339.

ووضع حد بشكل نهائي للدولة السعدية، والمشاغبات والمفاجآت التي تقوم بها منذ زمن بعيد، وإعلان نفير الجهاد العام، والسير بحرا وبرا على القوة الإسلامية إلى بلاد الأندلس[1].

ج –وفاته:

بعد تحريره بجاية سنة 1555 أراد أن يحرر وهران فتصبح الجزائر خالية من الوجود الأجنبي، وتصبح الفرصة متاحة لوضع حد لمحمد الشيخ السعدي في المغرب الأقصى، والزحف نحو الأندلس، فقد عبر هايدوا عن وفاة صالح رايس قائلا: ((... وبها كان يريد انتظار الأسطول التركي ومنها يتجه إلى وهران، من دون أن يتوقف بالجزائر. وما أن وصل حتى هوجم من باء الطاعون...))[2] وأشار أيضا أنه لفظ أنفاسه في أربعة وعشرين ساعة، دون أن يستطيع الأطباء إيجاد الدواء له، ووضح أيضا حالة الجيش الذي أصبح في حزن كبير. فعاد بسرعة إلى الجزائر[3]. مات صالح ودفن في مقابر ولاة الجزائر، وكان عمره آنذاك 70سنة، فقد وصفه هايدوا قائلا: ((...وصالح رايس كان له سبعين سنة لحظة وفاته، وقد كان له لحية بيضاء وقامة متوسطة، ذو جثة ضخمة وبشرة سمراء، وكان دائما يظهر مظهر الشجاع بالحروب، ولم يترك إلا ولدا واحد وهو مُحَمَّد...))[4].

المبحث الثاني: الجزائر خلال عهد صالح رايس (959هـ/ 1552م –963هـ/ 1556م)

[1] علي مُحَمَّد مُحَمَّد علي الصلابي، **كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي وسيرة الامير عبد القادر – تاريخ الجزائر الى ما قبل الحرب العالمية الاولى**، دار المعرفة، بيروت لبنان، ص 197.

[2] فراي ديغو هايدو، مصدر سابق، ص 109.

[3] فراي ديغو هايدو، المصدر نفسه، ص 109.

[4] فراي ديغو هايدو، المصدر نفسه، ص 109.

في سنة 959هـ الموافق لـ يناير 1552م عين صالح رايس بيلرباي على الجزائر، وهو أول حاكم من أصل عربي فيها خلال العهد العثماني 1، يذهب عزيز سامح التر إلى أنه يقال بأن السفير الفرنسي كان يثني عليه لدى الديوان الهميانوني، وأنه طلب مساعدته له، بحيث أنه التزم بوعده لصالح، وبدأ يثني عليه، وقد نجح في مساعيه2 ، ولكن هذا بعيد لأن السلطان قد أثنى على صالح رايس لدى أعيان الجزائر والسلطان السعدي. ففي يناير 1552 كتب السفير الفرنسي من استانبول إلى هنري الثاني يخبره بتعيين صالح رايس حاكما على الجزائر، وقد وصفه بأنه شخصية لها حسن تدبير وسلوك غير الحاكم السابق، وهو يقصد حسان ابن خير الدين3.

وبحسب منور مورش أن صالح رايس عين في ظروف مغاربية ودولية صعبة، وانطلاقا من الوثائق العثمانية والرسالة التي كانت موجهة إلى الأعيان وسكان وقادة وكبار مدينة الجزائر، نال فيها صالح رايس تزكية من السلطان العثماني سليمان، وهذا بالنظر للظروف التي تعيشها الدولة العثمانية، والتي تشرحها الرسالتين التي أرسلهما السلطان إلى السلطان السعدي، وهذه الرسالة تحمل نفس تاريخ الرسالة التي أرسلت إلى أعيان الجزائر 4.وقد تمثلت الظروف الدولية في الصراع الصفوي العثماني في الشرق، والحرب ضد الاسبان، أما الظروف المغاربية فقد تمثلت في ارتفاع حدة التوتر بين ايالة الجزائر والسلطنة السعدية في المغرب الأقصى بقيادة مُحَّد الشيخ السعدي، الأمر الذي جعل السلطان سليمان يطلب من صالح رايس معاملته بليونة، إذ ذهب إلى أبعد من ذلك حيث سلمه الغنائم التي غنمها من حملاته السابقة على اسبانيا والبرتغال وجبل طارق، غير أن السلطان السعدي لم يرد أن تتحسن العلاقات ((... وأنه لم يأتي بنية الحرب أو الغزو ولكن بالعكس يسلم الشريف السفن المسيحية التي

[1] عبد الرحمن بن مُحَّد الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1415هـ - 1994، ط7، ج3، ص 86.

[2] عزيز سامح التر، مراجع نفسه، ص 184.

[3] منور مورش، مراجع سابق، ص 119.

[4] منور مورش، مراجع سابق، ص ص 125 – 126.

استولى عليها بكل مدافعها وأسلحتها...))[1] . لقد ذكرنا فيما تقدم ذكره أن السلطان سليمان أرسل رسالة إلى أعيان المدينة والتي جاء فيها ((...هذا مرسومنا أرسلناه إلى العلماء والفضلاء والفقهاء والأئمة والخطباء وجميع والقواد والنقباء وسائر رعايانا بولاية الجزائر الغربية ...)) وأيضا إشادة بصالح رايس وتزكيته حيث تقول الرسالة: ((... صالح باشا دام إقبالا، بولاية الجزائر لفرط شهامته وشجاعته وكمال قوته صلابته وحسن سيرته وصفاء سريرته...))[2]، وكما جاء فيها يطلب السلطان تقديم الطاعة والالتفاف والاتحاد معه في قيادة البلاد[3]،وهذا ما يدل على علو كعب صالح رايس لدى السلطان العثماني سليمان، وذلك من خلال وصفه بالشهامة والشجاعة وحسن السيرة وصفاء السريرة، وفي نفس الوقت تدل على الأوضاع التي تمر بها الدولة العثمانية وما تواجهه من صعوبات خارجية خاصة، إذ لم يسبق للسلطان العثماني أن أرسل واليا على ايالة ثم قام بتزكيته لدى رعيته وقادته. وهذه الأوضاع والظروف تفسرها الرسالتين التي أرسلهما السلطان إلى مُحَمَّد الشيخ السعدي كما سبق ذكره، وكذلك طلب السلطان من العلماء والأعيان وكبار القادة بالطاعة والولاء للولي الجديد، وذلك من خلال الرسالة المرسلة إلى أعيان مدينة الجزائر. وكما تذكر الرسالة أن السلطان العثماني أمر أمير الأمراء بحسن معاملة الرعية، والعدل بينهم، وحفظ البلاد والعباد وتحصين البلاد من الأخطار وقمع الأعداء [4]، وهذا الأمر من السلطان العثماني بطردهم من البلاد، خاصة الاسبان. يقول هايدو عن وصول صالح: ((... وصالح رايس يصل إلى الجزائر في نهاية أفريل (1552) على رأس عشرة سفن شراعية...))[5] . ولكن لابن المفتي رأيا آخر، والذي لخص حياة صالح في الجزائر منذ توليه الحكم إلى وفاته وتولي صالح باشا سنة 959هـ [1551م]، واستيلائه على فاس سنة 961هـ [1553م]، ثم فتحه بجاية سنة 962هـ [1554م]، ووفاته في رجب سنة 963هـ

[1] فراي ديغو هايدو، مصدر سابق، ص 101.
[2] مُحَمَّد علي الصلابي، مراجع سابق، ص 196.
[3] منور مورش، مراجع سابق، ص 126.
[4] علي مُحَمَّد مُحَمَّد صلابي، مراجع سابق، ص 196.
[5] فراي ديغو هايدو، مصدر سابق، ص 98.

[1556م][1].والملاحظ أن هناك اختلاف بين المؤرخين حول تعيين صالح رايس،فمنهم من يرى أنه نهاية شهر أبريل، وهناك من يقول أنه في شهر يناير، وهذا الأخير قد بدأ من 959هـ/1551م هذا في تقييدات ابن الفتي، ولكن في رأيي والمرجح أن التعين كان في يناير 1552م ، وأن الوصول كان في أبريل من نفس السنة حسب قول هايدو، وكذلك رسالة السلطان وصلت إلى الأهالي قبل صالح باشا هذا حسب ما تبين لي من خلال المصادر والمراجع.

يرى عزيز سامح التر بأنه قيل أن السفير الفرنسي كان يثني عليه لدى الديوان الهميانوني، وأنه طلب مساعدته، وقد التزم السفير الفرنسي بوعده لصالح، بثنائه عليه، ونجاحه في مساعيه[2] ، ولكن هذا بعيد لأن السلطان قد أثنى على صالح رايس لدى أعيان الجزائر والسلطان السعدي. وفي يناير 1552 كتب السفير الفرنسي من استانبول إلى هنري الثاني يخبره بتعيين صالح رايس حاكما على الجزائر، وقد وصفه بأنه شخصية لها حسن التدبير والسلوك غير الحاكم السابق، وهو يقصد حسان ابن خير الدين[3].

أما عن الأحداث والمجريات التي حصلت خلال فترة حكمه، فيمكن تلخيصها بين حملات برية وأخرى بحرية، داخلية وأخرى خارجية، ولكن سوف نعرج أولا إلى الأشهر التي تسبق وصول صالح رايس إلى الجزائر، حيث كان القايد صفاء هو خليفة حسن ابن خير الدين، يعبر عنها هايدو بأنها لم تحدث فيها أحداث كبرى، غير قيامه بتحصينات القلعة في باب الجزيرة، وحصول مجاعة مرعبة، ولكنه استطاع إمداد العامة والمدينة في هذه اللحظات الحرجة، وذلك يعود إلى الوفرة الموجودة لديهم. وقد توفي في هذه المرحلة أيضا حاكم تنس، والذي كان في وئام وسلام مع الأتراك منذ عهد خير الدين[4]. ومع مجيء صالح رايس إلى الجزائر، واجهه تمرد في قلب الصحراء في مدينتي تقرت و ورقلة بسبب

[1] بن المفتي حسين بن رجب شاوش، مصدر سابق، ص 40.
[2] عزيز سامح التر، مراجع نفسه، ص 184.
[3] منور مورش، مراجع سابق، ص 119.
[4] فراي ديغو هايدو، مصدر سابق، ص ص 95 – 96.

عدم دفع الضريبة فسار إليهم دون إبطاء[1]، وإجبار الحاكمين على دفع الإتاوة، أما في بلاد القبائل،فإنه لم يقدر على إخضاع بني عباس الذين تمردوا عليه بعد أن أعانوه في حملته الأولى في الجنوب[2].وفي السنة الموالية وبشجاعة كبيرة استولى على ستة مراكب برتغالية قرب مضيق جبل طارق، أما في عام 1555م/963هـ عزم على التخلص من الوجود الاسباني في الأراضي الجزائرية، والذي كان يشكل خطرا على البلاد[3]، وقد كان قبل هذا قد قاد حملة نحو فاس مع حليفه أبي حسون الوطاسي، كما قام بالقضاء على الدولة الزيانية، ووضع حدا للتدخلات الخارجية من الأشراف السعديين في المغرب الأقصى ومؤامرات الاسبان[4]. وفي هذه المرحلة أيضا تم إلحاق مدينة قسنطينة، وكما سماه عبد الرحمان الجيلالي فتحا.ولكن المؤرخين لم يحددوا سنة دخول قسنطينة تحت الحكم العثماني،ذلك لوجود اختلاف في السنوات، وهذا راجع إلى الحملات التي قامت في إقليم قسنطينة منذ دخول الجزائر تحت لواء الحكم العثماني، حيث يشير المؤرخ الذي ذكره أن قسنطينة دخلت تحت الحكم العثماني إثر واقعة وادي القطن بين ميلة وقسنطينة، حيث احتلها أتراك بونة وتونس سنة 962هـ – 1555م وقد وجدوا بها منذ سنة 941هـ – 1535م، ولكن هنا من غير معلومات عن كيفية الإلحاق أو الغزو أو الفتح أو الاحتلال[5]، ولعله لم يكن غزوا أو احتلالا، وإنما في ظل الظروف الصعبة التي كانت تدور في إقليم بيليك الشرق الجزائري من التمردات والاحتلال الاسباني للشرق، بعث أهلها رسالة إلى السلطان العثماني إشادة منهم بأعمال صالح رايس وخصاله وهي رسالة جاءت في ظل الظروف المحيطة بالإقليم والجزائر قاطبة. فلقد عبر صنف من سكان قسنطينة عن الإخلاص والوفاء للعثمانيين، وقد عبر عن هذه الرسالة الأستاذ الدكتور ناصر الدين سعيدوني وأخذ عنه منور

---

[1] H-D.Granmmont : **Histoire d'Alger sous la domination turque(1515- 1830)**, Ernest Leooux- éditeur, rue Bonaparte, Paris, 1887, P

[2] شارل أندري جوليان، مراجع سابق، ص 343.

[3] جمال سويدي، **الشخصيات البارزة في تاريخ الجزائر القديم من القديم الى 1830**، منشورات التل، البليدة الجزائر،2007، ص80.

[4] يحي بوعزيز، مراجع سابق، ص 18.

[5] عبد الرحمن بن مُحَمَّد الجيلالي، مراجع سابق، ص 88.

مورش في كتابه دراسات عن الجزائر خلال العهد العثماني وقد أرخت الرسالة في نوفمبر 1555،وهي تتحدث عن الحملات التي قادها صالح رايس في هذا الإقليم،والتي بفضلها عم الاستقرار والهدوء فيه، فكانت هذه الرسالة رسالة تبعية قسنطينة للجزائر وإخلاص للسلطان العثماني. أما محتواها،فهو أن صالح رايس في سنته الأولى مهد البلاد ونشر فيها السلم والاستقرار، وفي سنته الثانية هزم أعداء الملة وذلك بإجلائهم إلى المغرب الأقصى. وفي العام الثالث حرر بجاية من يد أعداء الدين. وكانت أيضا تشيد بخصال صالح باشا وتكثر من تعابير الولاء والطاعة والإجلال مقارنة بالرسالة الأولى 1519 إلى آخر رسالة 1818 [1].كما عزم على تحرير بجاية من يد الاسبان وفعل ذلك. وبعد الانتهاء من فتح الجبهة الشرقية، اطلع على المؤامرة السرية التي تحاك في الخفاء بين حكومة المغرب واسبانيا من أجل طرد الأتراك من الجزائر، ولذلك عزم توجيه ضربة قاسية لكلا الحكومتين[2].وقد عزم أيضا على تحرير وهران غير أن الموت قد غيبه، وشاءت الأقدار ألا تتحرر في ذلك الزمان، ففقدت الجزائر أميرها وبطلها[3].

المبحث الثالث: حملات صالح رايس العسكرية (م1552 959هـ _1556م 963هـ)

أولا: الحملات الداخلية:

1: حملة توقرت[4] و ورقلة[1] في أوائل أكتوبر 1552م/959هـ:

[1] المنور مروش، مراجع سابق، ص ص 128 – 127.

[2] عبد الرحمن بن مُحَمَّد الجيلالي، مراجع سابق، ص 88.

[3] يحي بوعزيز، مراجع سابق، ص 18.

[4] مدينة قديمة بناها النوميديون على جبل في شكل نتوء، يمر في سفحها نهر صغير يقطعه جسر متحرك كما يوجد ذلك في ابواب المدن. وهي مسورة بسور من الطوب والطين، ما عدا من جهة الجبل فإن صخوره تحميها. وتقع هذه المدينة على بعد نحو خمسمائة ميل جنوب البحر المتوسط وثلاثمائة ميل من تيكورارين، وفي تقرت نحو ألفين وخمسمائة كانون. ودرها مبنية بالآجر المشوي والنيء حشا الجامع فانه وحده بالحجر المنحوت الجميل.....لمزايد ينظر الى حسن بن مُحَمَّد الوزان الفاسي، **وصف افريقيا**، ص 135، 136.

الدوافع والأسباب:

- رفض حكام تقرت و ورقلة الخضوع للحكم العثماني في الجزائر ودفع الضرائب، معتمدين في ذلك على المسافة الطويلة وعدم معرفة حاكم الجزائر بالصحراء وطرقها ومسالكها، فهو لن يغامر بجنوده في الصحراء[2].
- أدرك صالح رايس أهمية نجاحه في إخضاع القبائل المرتدة عليه، حيث أن هذا التمرد سوف يكون بمثابة امتحان له، وبقائه في المنصب مرتبط بنجاح حملتيه[3]. بالإضافة إلى ذلك إذا لم يتم إخماد هذا التمرد فإنه سوف ينتشر بسرعة بين المناطق والقبائل الأخرى في هذا القطر[4].
- يقول الوزان[5] أن أمير تقرت لديه حراس من الأتراك، ويؤكد على ذلك مرمول[6]. ويضيف أيضا أن الأتراك دبروا المكائد والمؤامرات لهذا الأمير وسلموها للسلطات في الجزائر، وعن الاستبداد

---

[1] (وركلة) مدينة أزلية بناها النوميديون في صحراء نوميديا، لها سور من الآجر النيء ودور جميلة حولها نخل كثير. ويوجد في ضواحيها عدة قصور وعدد لا يحصى من القرى. الصناع وسكانها اغنياء جدا، لأنهم في اتصال مع مملكة أكدز، منهم عدد كبير من التجار الاجانب الغرباء عن البلد، لاسيما من قسنطينة وتونس، يحملون الى ورقلة منتجات بلاد البربر ويستبدلونها بما يأتي به التجار من بلاد السودان. والقمح واللحم نادران جدا، وتؤكل الجمال والنعام. واغلب الناس سود لا بسب المناخ .....لمزيد ينظر الى الحسن بن مُحَمَّد الوزان الفاسي، **وصف افريقيا**، ج 2، ص136، 137.

[2] مبارك بن مُحَمَّد الهلالي الميلي، ، مراجع سابق، ص 81.

[3] مبارك بن مُحَمَّد الهلالي الميلي، المراجع نفسه، ص 81.

[4] جون ب . وولف، **الجزائر وأوروبا 1500 – 1830**، ت، أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة، الجزائر، ط2015، ط خاصة، ص 70.

[5] الحسن بن مُحَمَّد الوزان الفاسي شخصية عربية إسلامية فذة اجتمع له من الخصال العلمية والانسانية ما جعل الغربيين والمسيحيين يقدرونه حق قدره ويستفيدون من تأليفه الجغرافي في عصر النهضة، بل يعتمدونه كمصدر أساسي عن افريقيا طوال العصر الحديث. أما العر المسلمون فلم يعرفوا عالمهم الوزان ولم ولم يعرفوا به واغفلوا كتابه القيم في زوايا النسيان، ينتسب الحسن بن مُحَمَّد الوزان الى قبيلة بني زيات الزناتية، الواقع موطنها في اقصى غرب بلاد غمارة من سلسلة جبال الريف المغربية، بين ساحل البحر الابيض المتوسط ومجرى وداي لاوالقريب من مدينتي شفشاون وتطوان.....لمزايد ينظر الى للحسن بن مُحَمَّد الوزان الفاسي، وصف افريقيا، الجزء الاول، من الصفحة 7 إلى 23.

[6] ... ولد بغرناطة في أوائل القرن السادس عشر، وخرج من مسقط رأسه وهو حديث السن، فسار في جيش أعمال السلب النهب وهتك الاعراض وتدنيس الحرمات حقا من طرف المرتزقة الصليبيين.... لمزايد ينظر الى مارمول كربخال، إفريقيا، الجزء الاول من الصحفة 4 إلى 7.

الذي حصل من الأتراك ودفاع سكان المدينة. وحسب رأيه هذا سوف يجعل صالح رايس يرسل جيشا إلى هناك في حين أن هايدوا[1] لم يشر إلى معلومة عدا الضرائب.

- الموقع الجغرافي والاستراتيجي،حيث تعتبر المدينتان همزة وصل بين الجنوب والشمال، وتعد المنطقة نقطة عبور القوافل التجارية، وعبور ركاب الحج المغربي والجزائري، وبذلك يعبر الدكتور سعيدوني عن أهمية المدينتين قائلا: ((...تشكلان محورا واحدا ومركزا رئيسيا لتجارة السودان ومحطة قارة لجموع الحجاج، ومنطلقا سهلا للتوغل في أعماق الصحراء، وطريقا طبيعيا نحو مناطق التل الخصبة بالشمال...))[2]، حيث أن أمير الجزائر أراد قمع هذا التمرد،كي لا يعطي الزريعة له لبقية المناطق، وهذا ما أشرت إليه سابقا.

الحيثيات:

جهز صالح رايس جيشا قوامه ثلاثة آلاف تركي وعلج وألف فارس مزودين بمدفعين، وقد كان معه في حملته هذه أمير بني عباس عبد العزيز[3]،والذي كان على رأس ألفي فارس وستة آلاف رجل من المشاة، والتحق به أيضا بوعكاز شيخ العرب. وقد خرجت هذه الحملة في أوائل أكتوبر 1552م/

[1] هو راهب إسباني تعرض للأسر والاختطاف من رياس البحر الجزائريين في أفريل سنة 1578، تعرض للأسر بينما كان يستقل سفينة تابعا للقراصنة مالطا رفقة 289 شخص، وتم إطلاق سراحه سنة 1582م، تذكر المصادر الكثير عن حياة هايدو الشخصية ولا عن سنة ولادته، سوى أنه من اصل اسباني ولد وسط عائلة عريقة بالقرب من كارانسا "...، وصال إلى المناصب في مذهب برتستانت إلى رتبة رئيس الأساقفة....لمزايدا ينظر إلى نور الايمان بريكي، **كتاب تاريخ ملوك الجزائر لهايدو عرض ونقد**، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث، مُحَّد السعيد بوبكر، جامعة غرداية، 1441-1442هـ/2020- 2021م،الجزائر،ص ص10 – 11.

[2] ناصر الدين سعيدوني، **ورقات جزائرية دراسات وابحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، دار البصائر، الجزائر، 2009، ط 2، ص 475.

[3] - H-D.Granmmont :commentaire précédent, P78.

959هـ[1].وبالنسبة لإحصائيات تعداد الجيش يوجد اختلاف بسيط حسب المصادر والمراجع. ودون إعلان عن وجهة الحملة توجه صالح رايس أولا إلى تقرت، و واصل مع جيشه إلى نواحي المدينة دون أن يعلم الملك ذلك. وعدم إعلانه عن وجهته كان بغرض الانقضاض على تقرت على حين غرة [2]. وتلك هي أساليب الحرب، تعتمد على عنصر القوة والمباغتة والخبرة الحربية. فلو أعلن عن وجهته ووصل الخبر إلى المتمردين لكانوا سيسعون إلى تجهيز أنفسهم للحصار أو الحرب. فرغم تفوق القوة العثمانية، إلا أن الأمر قد يأخذ مدة معتبرة، وهذا بالنظر إلى وضع الجزائر في الداخل والخارج، ولن يكون هذا الوضع جيدا،بل سيكون في صالح الاسبان الذين في وهران وبجاية والسعدين في المغرب الأقصى،وقد يشن حملة على الجزائر أو إحدى المدن المهمة فيها، لكن صالح استعمل عامل الخفة والسرعة في الحركة ومحاصرة المدينة، وهو ما كان في صالحه، بحيث لم ملك تقرت أو ورقلة يتوقعون قدوم حاكم الجزائر اليهم بدون مقدمات على ذلك، حيث لم يكن ملك تقرت ملك الخيار أو القدرة على المجابهة العثمانيين في معركة يمكن القول خاسر فيها تماما فما كان عليه سوى اتبع نصائح مربيه وغلق وتحصين نفسه في المدينة وقام بتحريض أتباعه الإعراب وجيرانه وحلفائه على عداء الأتراك ويأتون لنجدته، وهنا راح بيلرباي الجزائر يقصف المدينة لمدة ثلاثة كاملة وفي اليوم الرابع أعطى الأمر بالهجوم على المدينة ويستولي عليها[3]وحسب مارمول فإن الحصار كان شديدا وعند دخول صالح رايس ومن معه قاموا بنهبها نهبا كاملا[4]، فيما فيقول هايدوا بأن العثمانيين قد أحدثوا مجازر كبيرة للموارين وملك تقرت[5] نفسه وقع بين يدي باشا الجزائر وسأله كيف وصلت به شجاعته إلى حد

---

[1] زينب مزي، **الصحراء الجزائرية بين الامتداد العثماني والأطماع السعدية خلال القرن 16م**، مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ، تاريخ المغرب العربي الحديث، أحمد جعفري، جامعة غرداية، 1441 – 1442هـ/ 2020 – 2021م، الجزائر، ص 50.

[2] فراي ديغو هايدو، مصدر سابق، ص 98.

[3] فراي ديغو هايدوا، مصدر سابق، ص 98.

[4] مارمول كربخال، **افريقيا**، محمد حجي ومحمد زنيبر واخرون، دار النشر للمعرفة، الربط، المغرب، 1408 – 1409هـ/ 1988 – 1989م، ص 166.

[5] اسمه عبد الله.

التمرد على الحاكم العثماني في الجزائر، ورد الملك بأن وصيه هو الذي أملى عليه ذلك، واعترف الوصي بذلك، فما كان من صالح رايس سوى وضع رأسه صوب سلاح المدفعية وتفجيره له[1]، وبعد الاستيلاء والسيطرة على مقاليد الأمور في مدينة تقرت، ذهب صالح رايس باتجاه مدينة ورقلة لقمع التمرد و إخماد ناره، لكن مدينة ورقلة استسلمت دون مقاومة[2]، وقد وصلوا إلى المدينة بعد أربعة أيام من السير، ومعهم ملك تقرت، ولكن ملك ورقلة لم يكن في المدينة، فقد فر هاربا بعدما علم ما حل بتقرت إلى نواحي القليعة[3]، ليجد العثمانيين ومن معهم في مقدمتهم صالح رايس، أربعين زنجيا أتوا ليبيعوا عبيدهم ولم يكن في مقدورهم الهروب من أمام الأتراك، فقاموا بدفع الأموال حقنا لدمائهم وتركهم وشأنهم، بحيث قدر الثمن الذي دفعوه مائتي أوقية من الذهب. وقد مكث صالح رايس بالمدينة عشرة أيام ينتظر عودة ملك ورقلة،بينما أخذ الجنود راحة لمدة ستة أيام فيها، لكن الملك ابتعد عن عاصمته مسيرة ستة أيام [4]،وعبر هايدوا بأن صالح رايس كان يريد قتل هذا الملك، وخلال هذه الفترة التي بقي فيها في المدينة، علم بوجود الملك فأرسل إليه يطلب منه العودة، ولكن بشرط أن يدفع الضريبة السنوية إلى الجزائر، فوافق هذا الأخير على طلب الباشا وعاد إلى عاصمته، وسدد

[1] فراي ديغو هايدوا، المصدر سابق، ص 99.

[2] عزيز سامح ألتر، مراجع سابق، ص 185.

[3] تسمى المنيعة قديما تاوريرت وتعني في اللغة البربرية: المكان العالي، فوجود القصر في قمة الربوة يدل على ذلك، ونجد اسم "القليعة" (EL-GoIea) بالفرنسية – تصغير لاسم قلعة أي نسبة للقصر القديم الذي يشبه بنياته القلعة الحصينة، وهناك رواية أخرى أن سكانها كانوا يسكنون المنطقة السهلية الخاصة بمجرى وادي صغر، ونتيجة للهجومات المتكررة من طرف الغزاة أقلع سكانها من الاسفل إلى أعلى بعد بنائهم للقصر، ثم لتعرف باسم المنيعة إلى اليوم: وذلك لوجودها في مكان منيع عن العدو يصعب الوصول اليه.....للمزايد ينظر الى مدينة المنيعة من القرن 9 ميلاد إلى الثلث من القرن 19 ميلادي من خلال المصادر التاريخية، نواصر عبد الرحمان، ص 111.

[4] إلهام عبد النبي – مريم قروي، مراجع سابق، ص 31.

ضريبة السنوات القادمة[1]، وكما أن شيوخ المدينة تعهدوا له بالولاء والدخول تحت راية ايالة الجزائر العثمانية [2].

نتائج الحملة:

لقد كان لحملة صالح رايس على كل من تقرت وورقلة نتائج جيدة بالنسبة لحاكم الجزائر، وصعبة لملوك المدينتين، حيث كانت حصيلة هذه الحملة كالتالي:

- فرض عقوبة صارمة على المدينتين، وضريبة سنوية عليهما بعد ضمانات من الملوك واقتناع بدفعها، والتزام الطاعة[3].
- الالتزام بدفع ضريبة سنوية لا تقل 15 عبدا، واعتذار سلطان تقرت من صالح رايس، و30 عبد بالنسبة لسلطان ورقلة[4]. عاد صالح رايس بغنائم ضخمة إلى الجزائر تمثلت في 15 عشر جملا محملين بالذهب وأكثر من 5000 من العبيد[5]، وإن كان هذا العدد يبدو كبيرا، إلا أننا لا نجد المصادر التي كتبت في تلك المرحلة تعطي معلومة كهذه، (هايدوا) بحيث يستبعد أن يكون هذا العدد صحيحا. ومن الغنائم الأخرى التي عاد بها صالح رايس أيضا، الكثير من الأقمشة والجلود والجواهر والحيوانات[6]. بالإضافة إلى ما دفعه الزنوج. وقد أشرنا إلى ذلك سابقا.

[1] فراي ديغو هايدوا، المصدر سابق، ص 99.

[2] أحمد توفيق مدني، مراجع سابق، ص 339.

[3] عزيز سامح التر، مراجع سابق، ص 158.

[4] مُحَمَّد بن معمر، **علاقة بني جلاب سلاطين تقرت بالسلطة العثمانية في الجزائر**، ص 19 – 20.

[5] مبارك بن مُحَمَّد الهلالي الميلي، مراجع سابق، ص 81.

[6] بلعمري شيماء – زيان نور الهدى، مراجع سابق، ص 42.

- تحقيق الوحدة الترابية للإيالة الجزائرية في الجنوب، جعل هذا الأمر صالح رايس يلتفت إلى هدفه وغايته في تحرير بجاية و وهران من الأسبان[1]. وحسب المصادر والمراجع التي تناولت هذا الموضوع يعد صالح رايس أول حاكم يقود حملة في هذه المنطقة .

2/ حملة على حاكم قلعة بني عباس في سنة 1553م:

1) الدوافع والأسباب:

- الخلاف الذي حصل بين بيلرباي الجزائر صالح رايس والسلطان عبد العزيز كان سببه الغنائم، والتي كانت حصة عبدالعزيز وحصة جنوده منها قليلة جدا حسب رأيه، بالإضافة إلى تأمر حسن قورصور على عبد العزيز في طريق العودة[2].
- هروب السلطان عبد العزيز من قصر الجنينة بعد علمه بنوايا صالح رايس في الأمر، فاشتعلت الحرب بين الجانبين[3]،بحيث أن الأول كان يرى التوحيد المطلق للبلاد،أما الثاني فكان يرى أنه مستقلا، وأنه يمد يده لحكومة الجزائر كحليف يعينها عندما يرى ذلك، ولكن لا يخضع لها[4]. ونفس الفكرة هاته نجدها في كتاب الجزائر خلال الحكم التركي.

2) الحيثيات:

رغم أن الفصل لم يكن مناسبا للقيام بحملة إلا أن صالح باشا أصر على القيام بها على الأمير عبد العزيز،الذي خرج عن طاعته، ورد على محاصرة الحاميات التركية، فقام صالح رايس بتجهيز ألف انكشاري وألف من عرب المتيجة، وسار حتى بلغ عين البنيان[5]. والتقى الفريقان في جبل البوني كان

---

[1] بلعمري شيماء – زيان نور الهدى، المراجع نفسه، ص26.

[2] عزيز سامح التر، مراجع سابق، ص 158.

[3] يوسف بنوجيت، **قلعة بني عباس إبان القرن السادس عشر للميلاد**، سامية سعيد عمار – محفوظ قداش، دار النشر دحلب، الجزائر، ص 156.

[4] أحمد توفيق المدني، مراجع سابق، ص 319.

[5] صالح عباد، مراجع سابق، ص 75.

الفاضل قائدا لقوات أخيه عبد العزيز، وانتصر في هذه المعركة صالح رايس الذي قتل فيها الفاضل، ورغم ذلك لم يكن هذا النصر نهائيا، حيث استغل عبد العزيز تراجع الباشا فذهب إلى تحصين القلعة والعمل على استمالة سكان المناطق المجاورة لها[1]. ومع أوائل الربيع وجه صالح رايس حملة جديدة سلم القيادة فيها لابنه الذي بلغ عدد قوته ألف جندي انكشاري مسلحين بالبنادق وخمسمائة صبايحي وستة آلاف فارس محلي[2]، فتوجه إلى القلعة ونشبت المعركة بين الجانبين قربها، وكانت الهزيمة للأتراك حيث تمت محاصرتهم من كل الجوانب، ولم تتمكن هذه القوات من النجاة إلا بشق الأنفس[3].

وفي الجولة الثالثة وصل خبر لصالح رايس بأن عبد العزيز يفرض ضرائب على القبائل من ناحية المسيلة، فما كان على الباشا سوى العمل على تجهيز جيش قوامه 400 من المشاة و50 فارس و 1500 من العرب ليمنع هذا التمادي من صاحب القلعة، فالتقى الجيشان مرة أخرى وكانت الغلبة لعبد العزيز الذي قتل الجميع، ولم ينج منهم سوى رئيسين من الأتراك. أما العرب فلم يقتلهم بل قام بتجريدهم من السلاح[4]. وقد كانت القيادة في هذه المرة في يد سنان رايس والقائد رمضان، ودارت رحى الحرب في وادي الحمام، فاضطر القائدان إلى اللجوء لحامية المسلية وتدعيمها ثم العودة إلى الجزائر[5]. لكن الحرب لم تنتهي بين الطرفين، ولم تكن الغلبة للعثمانيين ولا حتى لحاكم القلعة وإن كان هو الذي هزمهم على مرتين. وفي تلك الأثناء لم يكن من المناسب بقاء الصراع بين الطرفين والاسبان في بجاية و وهران، وهذا رأيي حسب المراجع المعتمدة، لذلك استعمل الباشا العلماء ووجهاء للصلح بينه وبين الأمير عبد العزيز[6].

3) نتائج الحملة:

[1] مبارك بن محمد الهلالي، مراجع سابق، ص82.
[2] يوسف بنوجيت، مراجع سابق، ص 158.
[3] مبارك بن محمد الهلالي، مراجع سابق، ص 82.
[4] بلعمري شيماء – زيان نور الهدى، مراجع سابق، ص 44.
[5] صالح عباد، مراجع سابق، ص 75.
[6] صالح عباد، المراجع نفسه، ص 75.

لم تكن هناك نتائج في صالح العثمانيين في الجزائر،بل كانت شديدة في أغلبها عليهم، ولكن الأمير عبد العزيز لم يكن بتلك القدرة الهائلة لكي ينافسهم ويفرض شروطه عليهم، وإن تم قبولها، فهذا يرجع إلى الظروف المحيطة بالجزائر سواء في الداخل أو الخارج. ويمكن تلخيص نتائج الحرب بين الطرفين فيما يلي:

- أول معركة كان النصر فيها لصالح رايس والتي مات فيها الفاضل أخ عبد العزيز، غير أن تراجع صالح رايس جعل الأمر يزداد تعقيدا بالنسبة له، حيث سيعمل الأمير عبد العزيز على استغلال هذا التراجع لصالحه والذهاب لتحصين القلعة[1].
- المعركة الثانية والثالثة كانت الغلبة لعبد العزيز الذي كبد قوات العثمانيين خسائر كبيرة. هذه الهزيمتان جعلت الأمير عبد العزيز يفرض نفوذه في نواحي المسيلة ويفرض الضرائب[2].
- استمالة صالح رايس قبائل كوكو[3]مقابل حرية الزواوة في التجارة والتنقل الحر داخل البلاد[4].

3/ حملة تحرير مدينة بجاية[5] في سنة 1555م:

1) الأسباب والدوافع:

[1] بلعمري شيماء – زيان نور الهدى، مراجع سابق، ص44.

[2] صالح عباد، مراجع سابق، ص 75.

[3] أندريا جوليان، مراجع سابق، ص343.

[4] صالح عباد، مراجع سابق، ص 75.

[5] مدينة عظيمة كانت في عهد ازدهارها تحتوي أكثر من عشرين ألفا من الدور العامرة. بناها الرومان على سفح جبل كبير ينظر إلى البحر، على بعد ثلاثين ميلا شرقي الجزائر وعلى بعد اثني فرسخا من جيجل في الجهة على عرض دنسي أودني. وقد جعلها بطليموس عند اثنين وعشرين درجة طولا وعند اثنين والثلاثين درجة وثلاثين دقيقة عرضا. كانت محصنة بأسوار عالية عندما دخلها الخليفة الشيعي صاحب القيروان وأخضعها ودمر بعضها. وقد عاد إليها العمران بعد ذلك دون أن تبلغ مقدار ازدهارها السابق. وهي مبنية على تلال تمتد فوقها إلى أن تبلغ أعلى الجبل حيث يوجد حصن حصين وقصور على النمط الموريسكي ليس لها من المنعة قدر مالها من الرونق والجمال. ويوجد في الجهة الموالية للبحر حصن آخر له ثلاثة بروج. ودور المدينة جيدة البناء .وبها عدد من المساجد وعدد من المدارس العتيقة تدرس بها العلوم. وتحيط بها البساتين ولا سيما من جهة الشرق وتوجد على مسافة منها غابات متكاثفة الاشجار بها كثير من الأسود والقرود. ولا تأتي أرض هذه الجهات بقمح كثير ومع ذلك فالسكان في سعة من عيشهم بفضل مالهم من التجارة مع أوروبا.....للمزيد ينظر الى مارمول كربخال، ج2، ص ص 76، 77.

إن أسباب هذه الحملة متداخلة فيما بينها ويمكن إجمالها فيما يلي:

- الموقع الاستراتيجي لمدينة بجاية،حيث أنها تطل على البحر، ومع وجود الاسبان في تونس و وهران، ينبغي تطهير المحيط منهم. فقد أشار مرمول إلى أن الحامية الاسبانية كانت تخرج وتقوم بالإغارة على الجهات المجاورة، وتعود بالغنائم كالأسرى وقطعان الماشية [1]. و في رأيي يعد هذا من بين الأسباب الرئيسية للحملة، إذ أن بقاء الإسبان في هذه النواحي سوف يسمح لهم بالتوسع، واسترقاق الناس وأخذ أملاكهم.
- لكي يتم منع الإسبان والأمير عبد العزيز من الاتصال فيما بينهم، ومنع الإسبان من استغلال الخلاف، وخاصة أن بجاية أقرب إلى القلعة حسب وصف كربخال في كتابه إفريقيا((جبل عال وعر شديد الانحدار متصل بالأطلس الكبير يقع على بعد خمسة عشر فرسخا من بجاية من جهة الغرب والجنوب، ويبعد عن مدينة كوكو بأربعة فراسخ...))[2]. وهذا القرب الجغرافي يمكن أن يعطي للإسبان فرصة الاتفاق مع الأمير عبد العزيز وغيره من الأمراء في الداخل من هذه الناحية للبلاد، أو التوسع في الداخل ما يمكن أن يعيد الاحتلال للمناطق التي تم تحريرها (جيجل) ويشكل خطرا على الوجود العثماني في البلاد، فكان لا بد من قلع أثارهم.
- وصول معلومات لصالح عن ضعف الحامية الاسبانية وضعف تحصينها[3]

2) الحيثيات:

لقد كان لحملة بجاية حسب مرمول وهايدوا ومصادر أخرى، الأثر الايجابي على الجزائر، وستعطي دافعا قويا لصالح رايس ورفيقه لمواصلة تحرير الثغور من يد الاحتلال الاسباني((...ولما كان عام ألف وخمسمائة وخمسين جاء صالح رايس الذي كان حاكما على مدينة الجزائر يحاصر بجاية من جهة البر

[1] مرمول كاربخال، مصدر سابق، ص 379.

[2] مرمول كربخال، مصدر سابق، ص385.

[3] عبد الكريم شوقي، **الاستخبارات الجزائرية في العصر الحديث 897هـ – 1246م/ 1492م – 1830م**، دار هومه، ص 178.

بأربعين ألفا من المقاتلين كان من بينهم عشرة آلاف من الفرسان المسلحين بالبنادق والقذافات، ومن جهة البحر بمائتين وعشرين من السفن الحربية الصغيرة والقاليرات...))[1].ففي عام 1555 خرج صالح رايس يحاصر مدينة بجاية مع أربعين ألف مقاتل من جهة البر من بينهم عشرة آلاف من الفرسان المسلحين بالبنادق والقذفات، من جهة البحر سفينتين وعشرين من السفن الحربية الصغيرة والقاليرات.

لقد نزل صالح رايس مع وادي الساحل الذي بلغه في نفس الوقت الذي وصلته بواخره التي تمكنت من الصعود مع الوادي بسبب نزول أمطار غزيرة في منتصف سبتمبر[2]، فصوب الرايس سلاح المدفعية نحو الحصن من الناحيتين. وبعد يوم ونصف من القصف تم تدمير القصر الإمبراطوري كليا، وبعدها قصر البحر الذي لم يصمد[3]، واستمر القصف خمسة أيام متتالية، ودافعت الحامية عن موقعها بثبات وعناد، وتم النجاح في اقتحام الحصن بعد تحديد مكان مخزن البارود، أين تم توجيه النيران نحوه مما أدى إلى انفجار المخزن بقوة دمرت جدران الحصن، وبعد ذلك حصل الاشتباك بين الفريقين، وكان النصر لقوات صالح رايس، حيث تمت إبادة القسم الأكبر من الحامية الاسبانية وأسري الباقين منهم[4]، وبعد ذلك حاصر الحصن الأعظم الذي لجأ إليه قائد قوات حرس بجاية، الدون ألونزو دي بيرالتا مع من بقي من الجنود، وبعد ضربه مدة 22 يوما أدرك الحاكم الاسباني عدم جدوى المقاومة، ولكنه لم يعلن استسلامه، مما جعل صالح رايس يشدد قصفه على المواقع الاسبانية والمقاومة المحلية على حد سواء،ما دفع الاسبانيين والأهالي المسيحيين على الاستسلام. أما دون ألونزو فقد تمكن من الهروب مع 120 شخصا وهذا بعد أن رموا بأنفسهم على سطح سفينة من نوع كرافل الشراعية السريعة، حيث نقلتهم

[1] مرمول كربخال، مصدر سابق، ص 379 – 380.

[2] مبارك بن مُحَمَّد الهلالي الميلي، مراجع سابق، ص 85.

[3] بلعمري شيماء – زيان نور الهدى، مراجع سابق، ص47.

[4] بسام العسيلي، **الجزائر والحملات الصليبية**، دار النفائس، بيروت – لبنان،1400هـ _ 1980م، 1406هـ _ 1987م، ط 1 وط3، ص 79.

إلى أليكانت إحدى المدن الاسبانية[1]. ولكن مرمول و هايدوا يقول عكس ذلك ((...وصالح رايس وهو نفسه سيدا على الحصون يرى أن المدينة قد باتت على حافة السقوط، يرسل بمبعوث[2] إلى الكابتن العام دون آلو نزو دي بارتلا الفارس الكنسي الشهير ليشرح له أن المقاومة أصبحت صعبة بعد خسارة الحصنين والأسور القديمة...))[3]، وبعد المحادثات التي أجراها دون آلونزو مع من هم حوله واتفاق الباشا وفقا لشروط، وهي أن يختار أربعين رجلا يركب في سفينة فرنسية[4]، ولكن مرمول عبر على أن الأسبان بعد خسارتهم الحصون لجئوا إلى الحصن الكبير وهو آخر حصن. وبعد حصار دام 22 يوما، عندما أنهكوا عقدوا الصلح مع العدو، واشترطوا فيه تسليم أنفسهم مقابل توفير السفن والسماح لهم بالعبور فيها إلى اسبانيا، إلا أن القائد التركي نكث عهده ولم يوفي بوعده، فلم يسمح لهم بالمغادرة إلا للقائد الاسباني مع عشرين نفرا منهم، يختارهم هو بنفسه واسترقاق الباقي[5]. وعند وصوله إلى اسبانيا تم سجنه ومن معه، وقد حكم عليه بالإعدام وتم قطع رأسه أمام الملأ في ساحة مدينة بلد الوليد[6]. وفي 28 جويلية دخل الباشا المدينة وألقى القبض على ستمائة شخص كما تم اغتنام الأسلحة والذخائر الاسبانية، وكان مما حدث أن سيطر الحزن والأسى على الأسبان، وعلى رأسهم إمبراطور شارلكان لذلك تمت التضحية بالدون ككبش فداء، مع العلم أنه قدم الأدلة والوثائق

[1] بن عتو بلبروات، **بجاية من الاحتلال الاسباني إلى التحرير العثماني 1510–1554**، عصور الجديدة، العدد 7-8، 1433-1434هـ/ 2012-2013م، ص 185.

[2] لم يذكر مرمول وهايدوا رفض قائد الحامية الاستسلام مباشرة، وقد كان نص الرسالة ((أنا ملك الجزائر، أكتب إليك يا حاكم مدينة بجاية.

لقد رأيت كيف أن رجالي قد استطاعوا احتلال معقلين من معاقل دفاعكم.....وبما أنه قد اقتربت ساعة سقوط المدينة.....فأنا أطلب إليك أن تستسلم، وأن تسلم المدينة لي، وأنا أتعهد لك مقابل ذلك بأنني أنت ولا أي رجل من الرجال الملتفين حولك بسوء.....)) لمزيد ينظر الى أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492 – 1792، ص 326.

[3] فراي ديغو هايدوا، المصدر سابق، ص106.

[4] فراي ديغو هاايدوا، المصدر نفسه، ص 106.

[5] مُحَمَّد بن عميرة لطيفة بشاري بن عميرة، **تاريخ بجاية في ظل مختلف الأنظمة السياسية من عهد القرطاجيين إلى عهد الاتراك العثمانيين**، دار المعارف، الجزائر، 1436هـ _ 2015م، ط1، ص331.

[6] مرمول كربخال، مصدر سابق، ص 380.

أثناء المحاكمة التي اضطرته إلى الاستسلام[1]. وقد دخل الجزائريون المدينة في جو مهيب مليء بالتهليل والتكبير، وقاموا بتطهيرها مع المساجد وأزالوا ما تم وضعه من الصلبان وأعادوا البلد لسابق عهده، وعاد الناس للمدينة. ولم تمض مدة قصيرة حتى عادت البلاد لسابق عهدها بعد الاحتلال الذي دام لمدة نصف قرن تقريبا[2]. وعند عودته إلى الجزائر ترك الباشا على بجاية علي ياردو مع ستمائة انكشاري للمحافظة عليها بصورة دائمة ومستمرة، وقد قام علي ياردو بترميم ميناء المدينة وزاد من الاستحكامات فيها، وللإشارة قد قام سكان المدينة بمقاومة الاحتلال الاسباني طيلة هذه الفترة[3] وذلك ما أشار إليه مرمول قائلا: ((... إلا أن هذه الغارات لم تكن ممكنة إلا في حالات نادرة لأن القبائل التي تسكن تلك الجهات دربة على القتال لا يكف رجالها عن الطواف بتلك الجهات مسلحين بالبنادق...))[4].

3) نتائج الحملة:

- تحرير بجاية في 12 ذي العقدة سنة 962هـ الموافق لـ 28 سبتمبر 1555م وإجبار قائد المدينة على الاستسلام بعد 45 سنة من الاحتلال الاسباني[5]، وقد عمل العثمانيون على تحصين البلاد[6].
- الحصول على غنائم مثل 600 أسير، وإعدام حاكم المدينة في اسبانيا[7].
- وضع حد لأطماع الأسبان في المنطقة وتلاعبهم بمصيرها، كما أبرزت الحملة مدى اتحاد الجزائريين والتفافهم حول قيادتهم، فنجد قبائل زواوة بقيادة ملك كوكو يشاركون بقوة في

[1] بن عتو بلبروات، مراجع سابق، ص 186.
[2] بسام العسلي، مراجع سابق، ص ص 80، 81.
[3] بن عتو بلبروات، مراجع سابق، ص 186.
[4] مرمول كاربخال، مصدر سابق، ص 379.
[5] عبد الرحمان الجيلالي، مراجع سابق، ص 88.
[6] مرمول كربخال، مصدر سابق، ص 380.
[7] بلعمري شيماء – زيان نور الهدى، مراجع سابق، ص47.

حصار بجاية وتحريرها من يد النصارى الأسبان، كما أن نجاح هذه الحملة أعطت صالح رايس ومن حوله دافع وهمة عالية وحافزا قويا للتحضير للذهاب نحو وهران[1].

- برهن نجاح هذه الحملة على قوة وحنكة صالح رايس وتوجيه ضربة قاسية إلى المشروع المغربي(السعدي) الاسباني واكتمالها بحملة على وهران[2].
- ((ثم إن دولة الأتراك ضربت بجرانها، وألقت بهذا المغرب الأوسط كلكلها ومدت رواقها على ما بين وجدة إلى منتهى أعمال تونس، واتصلت بأطراف عمالة الخليفة في القديم فدوخوا عصاتها ودانت لهم أهلها، فانقطعت عروق الفتن، ولم يبق بها صائل غيرهم، ولا ثائر من سواهم، واختصروا ما كان غيرهم لطلب الملك من الثورة بالقبائل، وإقامة الحروب وإثارة الفتن الجلائل...))[3]وهذا القول تعبير عن سيطرة العثمانيين على البلاد وما هي الصعاب التي باتت تواجههم فيها، كما أشرنا سابقا إلى حملة تقرت و ورقلة و بني عباس، وضمان قطع الاتصال والتواصل بين الإسبان الذين في تونس والذين هم في هذه الناحية من البلاد.

3/ حملة على وهران[4] والمرسى الكبير[5] في سنة 1556:

[1] م م ش زغار محمد مختار، المرجع سابق، ص 99.

[2] مبارك بن محمد الهلالي الميلي، مراجع سابق، ص 85.

[3] أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي، **الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني** ، الشيخ المهدي البوعبدلي، عالم المعرفة، الجزائر، ط1، 2013، ص ص 459 – 460.

[4] وهران مدينة كبيرة فيها ستة آلاف كانون، بناها الأفارقة الأقدمون على شاطئ البحر المتوسط، بعيدة بنحو مائة وأربعين ميلا من تلمسان. وبها من النبايات والمؤسسات ما تتميز به كل مدينة متحضرة، من مساجد ومدارس وملاجئ وحمامات وفنادق، محاطة بأسوار عالية جميلة. يقع جزء من المدينة في السهل، والجزء الآخر في جبل شديد الارتفاع، وكان معظم سكانها من الصناع والحاكة، ويعش الكثير من أهلها من مدخولهم لكنها لم يسد فيها الرخاء، إذ لم يكن يؤكل فيها سوى خبز الشعير. ومهما يكن من أمر فان أهلها ظرفاء كرماء يحبون الغرباء....للمزيد ينظر إلى الحسن بن محمد الوزان الفاسي، ص30.

[5] مدينة صغيرة أسسها في عصرنا ملوك تلمسان على ساحل البحر المتوسط، بعيدة ببضعة أميال عن وهران. ومعناها الميناء الكبير، لأن هناك ميناء ما أظن أن في الدنيا أكبر منه يمكن أن ترسو فيه بسهولة مئات المراكب السفن الحربية، في مأمن من كل عاصفة وإعصار. وكان من عادة سفن البندقية أن تلجأ إلى المرسى الكبير عند اكفهرار الجو، وترسل بضائعها في قوارب إلى

1)الأسباب والدوافع:

- تفيد عدة رسائل بوجود مفاوضات قائمة بين السعديين والأسبان ((...في الثاني من هذا الشهر، وصل إلى هنا أحد الرسل الذين أرسلتهم إلى فاس. وسيبلغه الموجز المرفق، الذي سيقدمه كارديناس إلى سموكم، بنتائج هذا الاجتماع. يتوسل إليها أن تسمح لي بالتعامل مع الشريف. يبدو أن الله نفسه قاد هذه المفاوضات ذات الأهمية العظيمة لخدمة جلالة الملك وسموكم...))[1].

يفسر هذا القول بأن مُحَّد الشيخ السعدي يسعى إلى التعاون مع الأسبان وقد رأوا بأن هذه الفرصة المناسبة لهم لإغراق المنقطة المغاربية بالصراعات، واستغلالهم لها لإعادة السيطرة، لأن فقدوا مدينة بجاية وهي تعد المدينة الثانية بعد وهران من حيث الأهمية الاستراتيجية، وهذا التعاون يكسبهم وقتا لإعادة بناء أنفسهم ونسج خيوطهم في المنطقة .

- التنافس السعدي العثماني على شمال افريقيا، والخلافة الإسلامية اللذان كانا في صالح الإسبان والبرتغال، كما سنرى التقارب الحاصل بينهم ضد العثمانيين[2].

2)الحيثيات:

بدأ صالح رايس التحضير لحملته الجديدة بعد رجوعه من بجاية وبعد تنظيم شؤونها، ففي بداية شهر سبتمبر يرسل إلى السلطان هدايا ثرية وتقريرا عن كيفية الاستيلاء على بجاية، ويطلب إمداده بالأسطول من الدولة العثمانية، فأعطى السلطان العثماني موافقته بإمداد الرايس أربعين سفينة شراعية

وهران، إذا كان الجو صحوا قصدت ساحل وهران مباشرة. وقد استولى الاسبان عنوة على المرسى الكبير قبل سقوط وهران ببضعة أشهر....للمزيد ينظر إلى الحسن بن مُحَّد الوزان الفاسي، ص31.

[1] DE M. LEMARECHAL DE MAC-MAHON, DUCMENTS INEDITS SUR L HISTOIRE DE DE MAGENTA , DOCUM L OCCUPATION ESPAGNOLE EN AFRIOUE (1506 – 1574), ALGER, A. JOURDAN, LIBRAIRAE-EDITEUR 4, PLACE DU GOUVERNEMENT, 1875, P269.

[2] مُحَّد مُحَّد علي الصلابي، مراجع سابق، ص 201.

مسلحة تحمل ستة آلاف تركي[1]، حيث كانت رغبة صالح رايس هي التوجه بسرعة قبل أن يعلم الاسبان بوصول الأسطول العثماني وبدء التحرك[2]، وفور وصول الأسطول أعطى الباشا أمره بالتوجه إلى رأس ماتيفو للرسو هناك[3]، وكان قد علم بخروجها في شهر ماي 1556م فوصلت السفن إلى بجاية في شهر جوان، وكان صالح رايس قد أنهى تحضيراته في نفس الوقت الذي وصل فيه الأسطول، وغادر الجزائر بمعية أسطوله لأن وباء الطاعون قد اجتاح البلد، فلم يرد أن يصاب الجيش بالعدوى وينتقل المرض إليهم. وكما أشرنا سابقا لأنه يأمل بمفاجأة الأعداء[4] بالأمر، ويكون ذلك في صالحه، فيتم له الأمر دون أن يتعرض لخسائر كبرى.

أما من جهة البر فقد جهزت القوات كل ما يلزمها من الأرزاق والمعدات الحربية، وتوجه الجيش غربا إلى وهران وهو مكون من عشرة آلاف خيال عربي وثلاثين ألف من المقاتلين المحلين[5].

وبينما كان صالح رايس على وشك مغادرة ماتيفو شاءت الأقدار أن يضربه الوباء في جسمه، وعندما اشتد عليه المرض، رجع إلى مدينة الجزائر، وتوفي هناك بعد ثلاثة أيام من عودته، عن عمر يناهز سبعين سنة[6]. بعد وفاة صالح رايس وصل الأسطول العثماني للجزائر لوضع ترتيبه، وعند ذلك تسلم حسن قورصو القيادة ووجه تعليماته بالتوجه نحو وهران، فقصدها عن طريق البر على رأس جيش قوامه ثلاثة آلاف انكشاري وأربعة عشر ألف من سكان مدينة الجزائر، والمناطق القريبة منها إضافة إلى نحو ثلاثين ألفا من المتطوعين ما بين عرب وبربر جاءوا لتعزيز الجيش [7]، فسار قورصو مع القوات البرية أين التقى مع القوات البحرية، والتي كانت تحمل المدفعية بعد أيام من تنظيمه كما

[1] فراي ديغو هايدوا، مصدر سابق، ص 108.
[2] مُحَمَّد خير فارس، مراجع سابق، ص41.
[3] عزيز سامح التر، مراجع سابق، ص 196.
[4] فراي ديغو هايدوا، مصدر سابق، ص 108.
[5] عزيز سامح ألتر، مراجع سابق، ص 196.
[6] إبراهيم سعيود، مراجع سابق، ص62.
[7] إبراهيم سعيود، المراجع نفسه، ص 64.

أسلفنا الذكر، وسار إلى وهران في أوت وعسكر بالقرب منها وحفر الخنادق وشرع في المناوشات مع القوات الاسبانية[1]، ثم مباغتة الأهداف الاسبانية، ومنها برج القديسين الواقع في الغرب في الطريق المؤدي إلى تلمسان. وبعد أربعة أيام من القصف بالمدفعية تم التمكن من برج الصالحين الواقع خارج المدينة بغرض السيطرة على منبع المياه التي تصل إلى وهران، وتمكن بذلك من تشديد الخناق على المدينة، وفي هذه الأثناء وصل أمر السلطان العثماني وكان القلج علي رأس المرسل بغرض إعادة السفن لمواجهة أندريا دوريا في أرخبيل ومضيق البوسفور، مما أدى إلى رفع الحصار على وهران وعودة العساكر إلى السفن، فأحس الاسبان بالخطر الذي كان يهددهم، مما جعلهم يعززون تحصيناتهم الدفاعية في وهران والمرسى الكبير[2].

3)نتائج الحملة:

إن نتائج هذه الحملة لم تكن تشبه نتائج الحملات الأخرى، حيث أنها لن تكون جيدة سواء على الداخل أو الخارج، وقد تمثلت فيما يلي:

- بعد وفاة صالح رايس بالطاعون في ظروف كهذه والبلاد في حالة حرب، سوف يحبط من معنويات الجيش، ويخيم الحزن عليهم، وفي ذلك عبر المؤرخ عزيز سامح التر بأن الحزن كان شديدا، والأسى عميقا على وفاة أمير الأمراء، فرفضوا التراجع عن الحملة وتسليم حسن قورصو القيادة، وأمره بالتقدم نحو وهران، وفي إشارة من المؤرخ أن صالح رايس كلف مساعده حيدر بالقيادة، ولكنه كان مصابا فأخذها حسن قورصو[3].
- الجدير بالإشارة أن حسن قورصو أخذ القيادة كونه مدعما من الانكشارية وذهب نحو وهران وقاد الحصار عليها، وبدأ في السيطرة على مجريات الأمور، غير أن العلج علي جاء ومعه الأمر

[1] صالح عباد، مراجع سابق، ص 81.
[2] إبراهيم سعيود ، مراجع سابق، ص ص 64 – 65.
[3] عزيز سامح ألتر، مراجع سابق، ص 196.

من السلطان برفع الحصار، وعودة الأسطول لمواجهة أندريا دوريا في مضيق البوسفور، حيث كانت الدولة العثمانية مواجهة الخطر في عقر دارها[1]. إن المصادر لم تذكر كيف تم الهجوم على مضيق البوسفور،ولكن على حسب تعبير مرمول أن الأسطول كان في الأرخبيل. ولعل التساؤل المطروح، هل علم أندريا دوريا غياب الاسطول وطلب صالح باشا في الجزائر له؟ أم هي حملة عابرة؟ أم أن الرسالة التي أرسلت من طرف حاكم وهران إلى اسبانيا [2]أرادت تهديد دولة الخلافة لرفع الحصار؟ يبقى سبب ذلك مجهولا لدينا، ولكن في أثناء عودة الأسطول، لم تكن لدى القوات المرابطة على حدود المدينة إلا العودة، وهذا ما سيجعل العدو يلاحقها حتى مزغان مما يجعلها مضطرة لفقد أسلحتها الثقيلة كسلاح المدفعية والمعدات الأخرى[3].

- لعل من بين النقاط المهمة التي خلفتها وفاة صالح رايس في تلك الظروف، هي تسلم حسان قورصور القيادة دون علم السلطان والديوان الهمايوني، وهو فعل غير محمود، حيث يعتبر اغتصابا للسلطة في الجزائر في نظر السلطان، فعين السلطان مكانه باشا جديد لتسيير أمور الايالة.
- عين تيكلري باشا على ايالة الجزائر، ولكن حسان قورصو رفض قبول أوامر السلطان ولم يسمح للباشا المعين بالنزول في المدن الساحلية في عنابة وبجاية والجزائر، فكان له ما أراد حيث هدد قادة هذه المدن الباشا بإطلاق النار على سفنه إذا ما حاول الاقتراب، فما كان من تيكلري باشا سوى النزول في ماتيفو، والاتصال سرا برفاق خير الدين. وكانت العادة أن يتم اختيار الأمير على الجزائر منهم. واتفق تيكلري ورايس على العمل فورا، فتم لهم ما أرادوا ليلا، وتم اعتقال المرتدين وخضوع الجنود مؤقتا للباشا، غير أنهم استغلوا فرصة انتشار الطاعون وغياب الرايس فقاموا بالانتقام من الباشا، كما أن مقتل تيكلري باشا أثار غضب السلطان

[1] صالح عباد، مراجع سابق، ص 81.

[2] مرمول كربخال، مصدر سابق، ص 332.

[3] عزيز سامح ألتر، مراجع سابق، ص 198.

العثماني، فما كان أمامه في تلك الأثناء إلا إعادة حسن باشا ابن خير الدين لمكانته ونفوذه في الجزائر بين الرؤساء، ومكانته بين سكان الجزائر وقدرته على إعادة الأمور إلى نصابها، وقد استطاع فعل ذلك[1].

- لم تكن النتيجة الوحيدة تسلم حسان قورصو[2] القيادة في الجزائر والتمرد الانكشاري على أمر السلطان وقتلهم تيكلري، بل امتد الأمر إلى ما هو أسوء من ذلك، باحتلال مُحَمَّد الشيخ السعدي تلمسان، وهجوم الحاكم على مستغانم، مستغلين الظروف السياسية الجزائرية والاضطرابات الحاصلة، وانتقما منهم على الهجوم وهران غير أنه خاسر رأسه في هذا الأمر حيث تصدى حسن باشا له، كل هذا جراء وفاة صالح رايس، فقد لا تكون كل هذه النتائج نتيجة لفشل الحملة، ولكن هي نتيجة لوفاة صالح رايس في تلك الظروف غير العادية.

***ثانيا:الحملات* الخارجية:**

1/ حملة على السواحل الاسبانية في سنة 1553م / 961هـ:

1)الأسباب والدوافع:

لقد كان لهذه الحملة كغيرها من الحملات أسباب ودوافع وقد جاءت بين الحملة على تقرت و ورقلة وحملة بني عباس، وذلك عبر استنجاد الملك الفرنسي هنري الثاني بباياربلي الجزائر صالح رايس[3].وهي حسب الاتفاق الموقع والحاصل بين السلطان العثماني والملك الفرنسي، والجهود المشتركة ضد الاسبان وفي إطار عدو عدوي صديقي.

---

[1] مُحَمَّد خير فارس، مراجع سابق، ص ص 42– 43.

[2] يذكر مرمول أن صالح رايس عين عاملا ولكن حسان قورصور استبدا بالحكم ثم اقره السلطان في مكانه، غير أن هايدوا الذي فصل في الحادثة عبر أن السلطان ارسل باشا جديد للحكم في الجزائر (تيكلري) الا أن رفض امر السلطان وهو امر الذي تعبر عنه الكتابات التاريخية في الموضوع وهو اشارنا اليه سابقا. لمزيد يمكن العودة الى هايدوا كتاب ملوك الجزائر في الصفحات من 113 إلى 118.

[3] مولود قاسم نايت بلقاسم، **شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830**، دار الامة، الجزائر، ص 17.

2)الحيثيات:

وحسب المؤرخ التركي عزيز سامح التر فإن الملك الفرنسي هنري الثاني أرسل ممثله دالبيسي في 960هـ/ 1552، من أجل مضايقة اسبانيا، فعمل الباشا على توجيه الأسطول إلى جزيرة ألبا لضربها وضرب السواحل الاسبانية الأخرى، وقد شارك الريس درغوث الأسطول الجزائري أعماله البحرية، وشارك أيضا البحار الفرنسي دولاغارد. واستمرت الحملة البحرية ضد الاسبان فترة طويلة، حيث تكبد الاسبان خلالها خسائر فادحة[1]، وهذا ما أكده منور مورش.

لبى صالح باشا دعوة الملك الفرنسي هنري الثاني وحل بميورقة في يونيو 1553م على رأس سفينة حربية وأرسى بها. وفي تلك الأثناء قدم مساعدة بأسطوله للفرنسيين[2]، وقد عبر هايدوا عن وصوله إلى الجزيرة بعد ثلاثة أيام، حث قام صالح رايس بإنزال قسم من رجاله إلى الشواطئ قصد مساعدة الفرنسيين كما أسلفنا الذكر، ولكنهم صدموا بفرسان وحاملي السهام والنبال، أين تم الهجوم على الأتراك[3]، فأدى ذلك إلى وقوع خسائر، فهزم الأتراك، وقرر صالح الانسحاب بخسرانه مئة وخمسين رجلا[4].وهذه الحملة كانت بمثابة تخفيف للضغط عن الملك الفرنسي الذي طلب العون من الجزائر[5]. وفي جويلية من نفس السنة يلتقي بستة سفن برتغالية كان على متنها أبو حسون الوطاسي[6]،وقد فشلت جهوده في طلب المساعدة من الاسبان والألمان، وانتهت جهوده بالاتفاق مع البرتغال، وكان قد وصلها 961هـ/1553م، فحصل على ستة سفن كما ذكرنا سابقا، أما التساؤل المطروح هنا: لما رفض الاسبان ووافق البرتغال على إعانته بمدد محدود؟. فمن المرجح أن التحالف القائم بين

[1] عزيز سامح التر، مراجع سابق، ص 186.

[2] مولود قاسم نايت بلقاسم، المراجع نفسه، صص 17 – 18 .

[3] فراي ديغو هايدوا، مصدر سابق، ص 108.

[4] نور الايمان بريكي، مراجع سابق، ص 38.

[5] ناصر الدين سعيدوني، مراجع سابق، ص 146.

[6] أعلن بوحسونة نفسه حاكما على فاس بعد وفاة أخيه الأكبر مُحَمَّد البرتغالي سنة 931هـ/ 1524من ولكن ابن أخيه أحمد، رفض الاعتراف به، وجهز العساكر واتجه إلى فاس لمحاربة عمه، ولكن المدينة لم تقاومه فألقى القبض على عمه وسجنه، وبعد مدة أطلق سبيله، وسمح له بالعيش في باديس، ولكونه عاش فيها فقد بالباديسلي أو (البادسلي). وعندما كان الخطر يهدد فاس من قبل مُحَمَّد المهدي (الشيخ)، استدعاه الفاسيون للاستفادة من سياسته وخبرت العسكرية، لكن ابن أخيه لم يلتزم بنصائحه.

الاسبان والسعديين كان سبب ذلك[1]. فاشتبك صالح رايس مع هذه السفن الاسبانية في معركة استمرت طويلا، وتمكن خلالها من التغلب عليها وأسرها، وقد وجد في إحدى السفن أبو حسون المذكور سابقا، إذ يعد الفرد الأخير في الأسرة الوطاسية سليلة المرينية، وهو الذي فر إلى اسبانيا عند دخول مُحَمَّد الشيخ السعدي فاس[2]. فعند وصول أبو حسون وعزمه على النزول في حجر باديس رفض الأهالي السماح له بذلك، وفي تلك الأثناء كان صالح مع الأسطول بغية غزو السواحل المسيحية، وكان قد اشتهر بذلك في محاولة منه استرداد بلاد الأندلس[3] ،فكان ما أشرنا إليه، حيث تم النصر لصالح رايس، وعاد صالح باشا مع أبي حسون ووضعه تحت حراسة مشددة[4].

3)نتائج الحملة :

- أخفقت العملية الأولى من هذه الحملة وقد عبر هايدوا أن صالح خسر 150 من أصحابه، في حين يذهب التر أنه تمكن من أسر عشرة سفن اسبانية وبرتغالية، بعدما قبل الدعوة الفرنسية في الهجوم على السواحل الاسبانية[5] لأن هايدوا في العلمية الثانية نجح في أسر ستة سفن برتغالية .
- امتلك صالح رايس أدوات النجاح في ضرب مُحَمَّد الشيخ السعدي، والمقصود هنا أبو حسون الوطاسي[6]الذي وجد مع البرتغاليين[7] فاصطحبه الباشا معه إلى الجزائر، وكما أن الباشا أعطى

[1] عزيز سامح التر، ص 187.، ص368.

[2] عزيز سامح التر، مراجع سابق، ص 187.

[3] نبيل عبد الحي رضوان، المراجع سابق، ص 369.

[4] عزيز سامح التر، مراجع سابق، ص 187.

[5] عزيز سامح التر، المراجع نفسه، ص 187.

[6] ....سنة 956هـ وقضبه على بني وطاس وفرار أبي حسون إلى الجزائر فلم يزل أبو حسون عند تركها إلى أن قدم بهم مع باشاهم صالح التركماني...) لا تكد المصادر المغربية تذكر ذهب أبو حسون الى الاسبان والبرتغال، الناصري واليفراني، بينما قد اشر المجهول محاولة الوطاسي مع النصارى غير أن الاتفاق أو الحلف لم يتم وذهب الى الجزائر بعد أن أخذ مشورة أحد أتباعه وللمزيد من المعلومات أنظر إلى المجهول، تاريخ الدولة السعدية التدكمارتية، ص 22.

[7] م م ش زغار مُحَمَّد مختار، مراجع سابق، ص 95.

لملك المغرب غنائمه التي حصل عليها من هذه الحملة، وذلك تعبيرا على حسن الجور وليس رغبة في الغزو أو الحرب[1].

4/ الحملة على المغرب في سنة 1554م:

1)الأسباب والدوافع:

- عمل صالح رايس على تسليم غنائمه التي تحصل عليها من جبل طارق إلى ملك المغرب، فقابلها الملك السعدي وأخذ معه أبو حسون ((مولا بوعزون))إلى الجزائر[2].
- عمل أبو حسون على إقناع صالح رايس بغزو المغرب بعد أن قص عليه قصته[3]، وكانت هذه الغنائم التي قام صالح رايس بتقديمها إلى السلطان السعدي هي مواصلة الود والصداقة وحسن الجوار بألا يتجاوز الحدود التي تفصل تلمسان عن فاس، وعدم ترك من هم تحت سيطرته ونفوذه أن يتجاوزوها، فعمل الباشا على تحميل رسالته إلى القايد موسى، لكي يوصلها إلى السلطان الشريف، ولم تمض ثلاثة أشهر بعد، حتى كان عدد من المغامرين يمرون بالجبال ويصلون إلى تلمسان سواء كان هذا بعلم السلطان السعدي أم لا[4].
- حسب هذه المعلومات التي عرضناها حول الهجوم الذي حصل على تلمسان، يتبين لنا أن صالح باشا قد رأى أن السلطان السعدي لن يكف عن الهجوم على الحدود إلى أن يهلك أحد الطرفين أو يستسلم، لذلك وجد أنه يمتلك بين يده الحل والشرعية التي تجعل الهجوم على المغرب أمرا لازما، وهو وجود أبو حسون كما قد كنا أشرنا سابقا.

2)الحيثيات:

[1] فراي ديغو هايدوا، مصدر سابق، ص 101.
[2] منور مورش، مراجع سابق، ص126
[3] نبيل عبد الحي رضوان، مراجع سابق، ص 369.
[4] فراي ديغو هايدوا، مصدر سابق، ص 101.

لقد كان للوطاسيين حكم فاس[1] بعد المرينيين، وذلك قبل أن يطردهم منها مُحَمَّد الشيخ سنة 1549م، والذي بعد أن أتم سيطرته على المغرب، سعى للتحرش بحدود ايالة الجزائر على الجهة الغربية، أما سعيه لعقد تحالف مع الاسبان، كان أبرز ما أدى لتوتر العلاقات بين الجانبين، بداية من معركة تازا[2] ثم معركة فاس[3]. وقد جرت أحداث المعركتين على النحو التالي: بعد التعدي الذي حصل من مُحَمَّد الشيخ السعدي على الحدود، كان صالح قد عزم الرد عليه بطريقة أكثر قوة، فعمل الباشا على تجهيز قوة عسكرية تعدادها ستة آلاف جندي محملين بالبنادق وألف من الصبايحية، ولحق بهم حوالي 4000 فارس من الأهالي الذين أرسلهم ملك كوكو، والقسم الأخر من جنود أبي حسون الوطاسي، وفرق من القبائل الموالية[4]. فعمل صالح رايس على مهاجمة معسكر الشريف ليلا، الأمر الذي كبده خسائر فادحة[5]، وبعد ذلك حصلت اصطدامات عسكرية بين القوات السعدية بقيادة مُحَمَّد الشيخ، والقوات العثمانية بقيادة صالح باشا وحليفه أبو حسون الوطاسي. وكان الصدام بين الطرفين قرب حجر باديس التي رسا بها الأسطول العثماني، فكانت الهزيمة من نصيب القوات السعدية، مما أدى إلى فتح المجال للعثمانيين للتوغل في الداخل، وقبل نهاية سنة 963هـ/1553م سقطت مدينة تازة في يد العثمانيين بعد اشتباكات متواصلة بين الطرفين، أهمها بكداية المخالى في

[1] أسس مدينة فاس أحد الشيعة أيام الخليفة هارون الرشيد عام 185 للهجرة. وسميت هذه المدينة فاسا لأنه عثر في أول يوم شرع في حفر الأرض لإرساء الأسس على كمية من الذهب تحمل بالعربية اسم فاس. وهذا في نظري هو السبب الحقيقي لهذه التسمية. ومع ذلك يرى البعض أن المكان الذي أسست فيه المدينة كان يحمل اسم فاس بسبب النهر الذي يخترقها إذ النهر بالبربرية يقال له ((ساف)) فقلب هذا اللفظ....للمزيد ينظر إلى الحسن بن مُحَمَّد الوزان الفاسي، ص 219.

[2] تازا مدينة كبيرة لا يقل نبلها عن قوتها، وتعيش في رخاء على أرض خصبة. أسسها الأفارقة القدماء على بعد نحو خمسة أميال من الأطلس، وتبعد تقريبا عن فاس بنحو 50 ميلا، وعن البحر المحيط بـ 130 ميلا، وعن البحر المتوسط بـ 7 أميال مرور بصحراء كرط عندما يتجه المرء إلى غساسة. تشتمل هذه المدينة على ما يقرب من خمسة آلاف كانون. لكن دورها جميلة، باستثناء قصور الأشراف والمدارس والمساجد المبنية بجدران في غاية الاتقان....للمزيد ينظر إلى الحسن بن مُحَمَّد الوزان الفاسي، ص 354.

[3] بلعمري شيماء، زيان نور الهدى، مراجع سابق، ص ص 44، 45.

[4] م م ش زغار مُحَمَّد مختار، مراجع سابق، ص ص 95، 96.

[5] عزيز سامح التر، مراجع سابق، ص 189.

ساحة فاس[1]. وحسب رواية المجهول التي يقول فيها ((وإنما يليق بك أن تذهب إلى الجزائر...)) يظهر لنا أن أبا حسون الوطاسي عند ذهابه للنصارى، وذلك دون توضيح إن كان الاسبان أو البرتغال، ليطلب منهم الجيش كي يهجم على المغرب فأجابه: ((...فقال له أمير النصارى يا سلطان إن أمراء النصارى مقرون بعافيتكم ووفاءكم وعدلكم معنا...))[2]، ولكنه قدم له رأيا آخر، وهو أن يذهب إلى الجزائر، لأنه إذا قدم له جيش النصارى فلن يكون ناصحا أو صديقا في المغرب، ولذلك ينبغي عليه الذهاب إلى الجزائر، فيعمل على إغرائهم بالمال ويخرج محلة من الترك من الأربعة آلاف أو أكثر على أنه يقدم إعانات مالية مقسمة إلى ثلاثة أقسام، قسم يدخل به الجزائر وقسم آخر يخرج إليه من وهران،أما القسم الثالث يخرج من مليلية، ومن كل موضع يخرج له المال يتقوى به وتزيد جيوشه من البلاد، فعند ذلك قبل أبو حسون الرأي، ورأى بأنه رأي حسن فذهب إلى الجزائر وقصد الديوان هناك فأنعم عليهم وتم توقيع الاتفاق وحاز على المراد وارتحل إلى وهران فأخذ المال ثم تلمسان، وكتب إلى القبائل فأجابوه ثم ارتحل إلى مدينة تازا، ومنها إلى أن وصل واد ايناون بقرب الركن قاصدا المدينة، هناك التقى مع مُحَمَّد الشيخ بجيشه وحشود من قبائل عديدة، حيث التقى الفريقان وتحاربا، فتغلب أبو حسون على مُحَمَّد الشيخ السعدي ولاحقهم إلى أن خرجوا من فاس، ودخلها أبو حسون، فرحب الناس به وبجيشه من عرب وأتراك[3].وذلك ما ذهب إليه اليفرني بالاختصار. أما على نحو ما قد ورد في المصدر الاسباني هايدوا أن الشريف كان ينتظر صالح والعثمانيين بتعداد أربعين ألف من الفرسان، والعديد من المشاة، ورغم قوة جيشه إلا أن صالح رايس هاجمه، وما إن بدأت المعركة بين الجانبين حتى انقلبت الكفة ومالت إلى صالح العثمانيين، الذين كان تعدادهم نحو ستة آلاف من الجنود حاملي البنادق وألف من الصبايحية، بالإضافة إلى آلاف من فرسان القبائل التابعة لملك كوكو، وقسم آخر من زعماء العرب. ومنها راح يسير نحو فاس في تعداد

[1] نبيل عبد الحي رضوان، مراجع سابق، ص 370.

[2] مجهول، **تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية**، عبد الرحيم بنحادة، دار تينمل للطباعة والنشر، ط1، 1994، مراكش، ص ص 23 – 24.

[3] مجهول، المصدر نفسه، ص ص 23 – 24.

هذا الجيش مع اثني عشر من المدافع، وكان أبو حسون بصحبة صالح باشا، بالإضافة إلى ثمانين شخصا من الأسرى تم اختيارهم ليقوموا بالعمل على المدفعية مقابل حريتهم إذا تحقق المراد، وسوف يكون لهم ما أردوا. أما من جهة البحر اثني وعشرين سفينة شراعية صغيرة وأرسو في بالمرفأ القريب من مليلة بنحو فرسخين وإلى ثلاثين من فاس. وقد كان هذا الاحتياط إذا ما هزم العثمانيون في مواجهة القوات السعدية[1]، غير أن الحملة العثمانية سرت كما ذكرنا. وكان سبب نجاح المعركة في فاس مثلما أشار المجهول،هو اتصال أبو حسون الوطاسي مع قادة مُحَمَّد الشيخ السعدي، وسحبهم إلى صفه[2] ،وهكذا تم ضمان النصر من الناحية التكتيكية الحربية قبل وقوع المعركة.

4) نتائج الحملة:

لم تكن هذه الحملة من أجل التحرير،أومن أجل الضرائب بل هي سعي من أجل ضم المغرب إلى الدولة العثمانية، واكتمال مشروع السيادة العثمانية على المغرب، والذهاب نحو تحرير الأندلس، وقد تمثلت نتائجها فيما يلي:

- تنصيب أبو حسون الوطاسي في فاس من قبل صالح رايس [3]،والذي يمكن القول عنه بأنه بداية الدخول العثماني إلى المغرب، أو اعتراف رمزي بالسيادة العثمانية ،التي تمثل مرحلة عصيبة منذ الفتح الإسلامي، ذلك لأن المغرب واجه قوتين مسيحيتين أوروبيتين،بالإضافة إلى احتلال معظم سواحل المغرب، فكان الاعتراف بالسيادة العثمانية عليه. ويعد كذلك ضرورة سياسية في ظل الخطر الذي يهدد العالم الإسلامي، فكان ظهور العثمانيين كقوة إسلامية قامت بتحدي القوة الاستعمارية بما فيها الاسبان، سواء في تونس والجزائر وحتى طرابلس،

[1] فراي ديغو هايدوا، مصدر سابق، ص 102.

[2] خومس سميرة – جنان حورية، **ديناميكية الحدود الجزائرية المغاربية خلال الفترة الحديثة والمعاصرة**، خنفار حبيب، جامعة ابن خلدون . تيارت، 1438هـ - 1439هـ/ 2017م .2018م، الجزائر، ص 59.

[3] خومس سميرة – جنان حورية، المراجع نفسه، ص 59.

كما فعلوا أيضا في مساعدتهم للوطاسيين والقوات السعدية بالمغرب ضد الاسبان[1]. وهذا الاعتراف كان فيه أيضا صك العملة وذكر اسم السلطان العثماني على المنابر[2]

- لقد عبر اليفرني وغيره ممن أرخ من المغاربة عن الفرحة العارمة لدى الناس بعودة فاس للوطاسيين وتنصيب أبي حسون، ولقد وصف المشهد كالتالي: ((...ولما دخل فاسا فرحا شديد وترجل هو عن فرسه وصار يعانق الناس كبيرا وصغيرا وشريفا ومشروفا وهو يبكي على ما دهمه وأهل بيته من فتن الاشراف واستشر الناس بقدومه وتيمنوا بطلعته...))[3]، أظهر سكان فاس فرحتهم بعودة أبي حسون،كما أظهر لهم أيضا محبته و وقوفه بجنبهم، نظير ما كانوا يعانون من السعديين، فكانت قلوبهم معه لا مع السعديين.
- بقاء صالح في فاس وما جاورها من المدن المغربية التي أصبحت تحكم أبو حسون مدة من الزمن[4]،إذ هناك من قدرها بشهر، وهناك من قدرها بخمسة أشهر، وهذا ليس مهما تقريبا ولكن لإظهار الاختلاف بين المراجع والمصادر. وقد كانت هذه المدة الزمنية التي قضاها صالح رايس من أجل ضمان الاستقرار لأبي حسون، وتقوية نفوذه فيها، وتأمين الحدود[5].
- حاول العثمانيون قلب الكفة لغير صالح أبي حسون، ومحاولة تنصيب شخص آخر على فاس، غير أن أبا حسون سرعان ما أذعن إلى صالح رايس للتفاهم معه، والقبول بشروطه. وقد عبر عن ذلك اليفرني والمجهول: ((...فبادر بدفع ما اتفق معهم عليه من المال لهم وأخرجهم من فاس...))[6].

---

[1] نبيل عبد الحي رضوان، مراجع سابق، ص 370.

[2] فيصل مبرك، **وقف صالح رايس في وجه النزاعة التوسعية لمحمد الشيخ السعدي 1539– 1557م**، مجلة تاريخ المغرب العربي، العدد التاسع ماي 2018، المركز الجامعي – بريكة، ص 416.

[3] مُحَمَّد الصغير بن الحاج بن عبد الله الوفراني النجار المراكشي الوجار، **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي**، السيد هوداس، مطبعة أنجي، 1888، ص 30.

[4] بسام العسلي، مراجع سابق، ص 86.

[5] بسام العسلي، مراجع سابق، ص 86.

[6] مُحَمَّد الصغير بن الحاج بن عبد الله الوفراني النجار المراكشي الوجار، مصدر سابق، ص 30.

- توتر العلاقة بين صالح رايس وأبي حسون، ويعود هذا التوتر لأسباب منها رغبة أبي حسون في الانقلاب على صالح رايس والانفراد بالسلطة والتخلص من الأتراك[1]. حيث أن صالح رايس في فاس عمل على إرسال سفينتين بقيادة العلج علي، محملتين بالغنائم والهدايا إلى السلطان العثماني وإلى الشخصيات الهامة والعالية في الدولة، وطلبه أسطولا كبيرا وقوات كبيرة من أجل الاستيلاء على كامل المغرب، ولتحرير القواعد المحتلة من قبل الاسبان[2].
- محاولة صالح رايس والعثمانيين إبعاد أبا حسون من المشهد السياسي إلا أن ثورة سكان فاس منعت ذلك[3]. ثم محاولة صالح لربط الاتصال مع مُحَمَّد الشيخ السعدي وفق شروط معينة،حيث كانت الغاية من ذلك إحباط المفاوضات الجارية مع البرتغال، بغية تزويده بقوات كبيرة مقابل تنازلات مهمة، لذلك كان لازما ربط الاتصال وفق تعهدات وخطوات هي: إرسال حريم مُحَمَّد الشيخ وأولاده إليه في مراكش وإطلاق سراح الموالين له كالمرابط أفوغل، وتعهد مُحَمَّد الشيخ بعدم التدخل أو تقديم العون لأبي حسون إذا هجم عليه بعد رحليه[4]، وهذا الاتصال يبدو مستبعدا بين صالح رايس و مُحَمَّد الشيخ السعدي بعد الصراع الدموي الحاصل بينهم[5].
- سيطرة صالح رايس على حجر باديس بعد محاولة من حاكمها طلب المدد من الاسبان ((...راح يبعث برياسه إلى المرفأ الجديد والقريب من ((مليلة)) الذين لم يفوتوا لحظة هذه الفرصة السعيدة...)). قام صالح رايس بإرسال مائتين بقيادة أحد قادته اسمه عبد القادر

[1] فيصل مبرك، مراجع سابق، ص 416.

[2] عمار بن خروف، **العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي**، دار الامل، تيزي وزو، 2016، ط2، ج1، ص 184.

[3] مُحَمَّد خير فارس، مراجع سابق، ص 41. لمزيد أنظر عمار بن خروف، ص184.

[4] عمار بن خروف، مراجع سابق، ص ص 184، 185.

[5] عمار بن خروف، مراجع سابق، ص 185.

ويلزمه بأمر تحصين الجزيرة قدر المستطاع. فهذه الجزيرة بقية تحت سلطة الأتراك إلى غاية 1564، عندما استولى فليب الثاني عليها[1].

ما يمكن استخلاصه هو أن صالح رايس ذو أصل عربي كما يذهب أغلب المؤرخين الذين كتبوا عنه، وقد كان من رفاق خير الدين بربروس، ومن أبرز قادته.فقد وضع بصمته في تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني، حيث استطاع خلال فترة وجيزة من الزمن تحقيق العديد من الانجازات، من بينها قيامه بحملات في الشرق والغرب والتي كان لها أثر إيجابي في أغلب الأحيان. كذلك تحقيق الوحدة الإقليمية للجزائر في الجنوب. كما أن التمرد في تقرت و ورقلة لم يكن تمردا عاديا، أي أن عدم دفع الضريبة يعد سعيا نحو الاستقلال، حيث تعد الضريبة هي مقياس التبعية وعدم دفعها يعني الاستقلال عن الدولة، حيث وجب تأبيد المتمردين لكي لا تفكر الفئات الأخرى بالسعي نحو الاستقلال، حيث أن صالح رايس جاء عن طريق الإقليم الشرقي للجزائر، وعاد عن طريق الإقليم الغربي لها، وقام بإدخال بقية الأجزاء الأخرى من الصحراء القريبة من تقرت و ورقلة مثل غرداية وواد سوف والأغواط وبقية المناطق القريبة والتابعة لها، حيث أن السيطرة عليها تعد أمرا مهما، وهو الأمر الذي سوف يكون عائدات على خزينة الدولة. فهذه المناطق تعد نقطة عبور للتجارة الإفريقية، خاصة الغربية، مما سيجعل دخولها ذا منافع اقتصادية هامة. ونلاحظ ذلك من خلال الحملة التي قام صالح رايس ومن بعده، والغنائم المتحصل عليها تدل على الأهمية الإستراتيجية التي تعكسها منطقة الصحراء خلال هذه المرحلة.

كانت الحملة الثانية لصالح رايس ضد أمير قلعة بني عباس في فصل الشتاء وفي منطقة صعبة، ولكنه نجح في أول جولة قادها بنفسه، ولكن النجاح لم يتم بسبب سوء أحوال الطقس التي لعبت دورا مهما في تراجعه، ولكن هذا لم يمنع من العودة والقيام بجولات أخرى، ولم يكن هو بنفسه موجودا فيها، وكانت نتائج هذه الجولات الثانية والثالثة ذا أثر سلبي جدا مما يدل على أن وجود القائد في

[1] فراي ديغو هايدو، مصدر سابق، ص 103.

المعركة أمرا مهما، ونلاحظ ذلك من خلال الجولة الأولى، حتى وإن لم يتم النصر كاملا، ولكي يكسر سلسلة انتصاراته، قام صالح بكسب وتقريب أمير إمارة كوكو عدو أمير بني عباس ،كما فعل خير الدين من قبل. ولم يقم صالح رايس بحصر حملاته ضد بني عباس، بل قام بحملات أخرى في الداخل والخارج، بحرية وبرية،وقد حقق فيها انتصارات لأنه لاحظ مدى صعوبة الاختراق أو النجاح ضد بني عباس، فكان لابد من القيام بحملات أخرى تجعل أمير بني عباس في وضع صعب، وهذه الحملات هي حملات بحرية على السواحل الاسبانية، كان الغرض منها في أغلب الأحيان مضايقة الاسبان، ورفع الضغط عن الملك الفرنسي الذي طلب النجدة من حاكم الجزائر. وهي حملات في أغلب الأحيان تدخل في إطار التعاون العثماني الفرنسي، حيث لم تتحدث عنها المصادر العربية كثيرا، ولم تكن ذا أثر إيجابي على الجزائر، غير تلك التي تم النجاح فيها بأسر سفن برتغالية وشخصية مغربية، والتي سيكون لها دور بارز في الحملة على المغرب.

لقد كان صالح رايس يبحث عن طريقة للدخول للمغرب وإلحاقها بالدولة العثمانية، وذلك في إطار عثمنة بلاد المغرب وإعادة الأندلس إلى الحاضرة الإسلامية، وقد تمكن من ضمها للسيادة العثمانية لفترة وجيزة من الزمن، ولعل من بين الأسباب التي قادته للقيام بحملة عليها، دخول بعض القبائل المغربية واختراق الحدود بعد صلح كان عن طريق السلطان العثماني. كان الاختراق هو السبب الأول،أما السبب الثاني فهو أبو حسون الوطاسي الذي غنمه خلال حملته البحرية، والذي بدوره أعطى له الشرعية. وتم له المراد بسحق مُحَّد الشيخ السعدي خلال هذه الحملة وإدخال المغرب تحت السيادة العثمانية وصك العملة العثمانية لفترة لا تتجاوز السنة، ومهما يكن فإنها عدت من انجازات صالح رايس المهمة. وكانت الحملة الموالية على أعداء الملة،والمتمثلة في الحملة على مدينة بجاية، والتي استطاع خلالها تحرير هذه المدينة التي بقيت تحت وطأة الاحتلال 45 سنة، وقد كان تحريرها سنة 1555م بمثابة نصر إسلامي، وتحرير مدينة إسلامية من براسن الاحتلال الاسباني، وقلع الجرثوم من جسم الجزائر، بعد ذلك سعى صالح رايس إلى حملة أخرى لم يكتب له النجاح فيها، وقد كان غرضه توجيه ضربة للأعداء لكن الأجل لم يمنحه ذلك. يمكن تلخيص فترة صالح رايس من خلال وثيقة أهالي وأعيان قسنطينة إلى السلطان، والتي لخصت كل هذه الأحداث تقريبا، وإنجازات صالح من غير

حملات هي دخول مدينة قسنطينة رسميا تحت الحكم العثماني في الجزائر،إلا أنه لا توجد لدينا تفاصيل عن ذلك،بحيث اختلف المؤرخون حول مسألة دخولها. والإنجاز الآخر له ألا وهو القضاء على الدولة الزيانية في تملسان وإلحاقها بالجزائر، وبذلك تم القضاء على تلاعبات الاسبان وتدخلات السعديين، مما جعل صالح رايس يحقق الوحدة للجزائر، إذ فرض سلطان الدولة في الجزائر على جميع المناطق، وجعل حدود الجزائر من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب تحت طاعته وسلطانه في الجزائر.

الفصل الثالث

:

قراءة في العلاقات الخارجية خلال فترة حكم صالح رايس للجزائر

1. المبحث الأول: العلاقات الجزائرية العثمانية المغربية
2. المبحث الثاني: قراءة في العلاقات العثمانية الفرنسية وأثرها على الجزائر

عرفت علاقات الجزائر الخارجية نوع من التقلبات والاعتداءات الخارجية، وكذلك سلام حذر خاصة على الجهة الغربية، و واد وتعاون مع حلفاء السلطان العثماني، وفي هذه المرحلة كانت الجزائر تعيش نوعا من التمردات في الداخل، وهنا يتبادر لدينا السؤال التالي، كيف كانت علاقة الجزائر الخارجية قبل وأثناء فترة صالح رايس؟

إن المراد من دراسة العلاقة الخارجية، هو عرض انعكاسات الحملة على المغرب من ناحية العلاقات العثمانية وعلى الجزائر، كون العثمانيين موجودين فيها، بالإضافة إلى دراسة العلاقات العثمانية الفرنسية وأثرها على الجزائر، وإلى أي مدى استفادت الجزائر من هذه العلاقات ؟ و إلى أي مدى اسفاد الفرنسيين من هذه العلاقات؟

المبحث الأول: العلاقات الجزائرية العثمانية المغربية

أولا: العلاقات الزيانية الوطاسية:

إن بحديثنا عن العلاقات الجزائرية المغربية، سوف نركز على العلاقات الزيانية الوطاسية من ناحية التقارب والمساعدات الحاصلة بين الطرفين، بغية معرفة التطورات التي سوف تنجم عنها، محاولين اختصار محتواها. ثم سنتطرق إلى علاقة الأتراك العثمانيين بالوطاسيين، وعلاقات الأتراك العثمانيين بالسعديين. وسواء أكانت هذه العلاقات تقف في الجزائر، أو تأتي من الباب العالي، فإن الجزائر لها دور في الأحداث الحاصلة.

لم تكن هناك علاقات قوية بين الزيانيين و الوطاسيين، وذلك بسبب الأوضاع السياسية في الداخل والخارج، حيث لم تكن مستقرة عند الوطاسيين، غير أنهم تطلعوا إلى إقامة دولة قوية، وضم تلمسان إليهم مثل أسلافهم بني مرين، ولكن انشغالهم بمحاربة الاسبان وصعود نجم السعديين، جعلهم يصرفون نظرهم والاكتفاء بحسن الجوار معهم، وإيواء الأمراء الفارين إليهم من بطش الأسرة

الحاكمة[1]. ثم إن الظروف المحيطة بالمنطقة المغاربية من الاحتلال الابيري وسقوط أخر معاقل المسلمين بالأندلس 1492م،نتج عنه ظهور الأتراك العثمانيين والأشراف السعديين، مما جعل التنسيق والتعاون منعدم بين الطرفين في مطلع القرن السادس عشر[2].

أما العلاقات الزيانية السعدية فإن الزيانيين لم يعملوا على محاولة التقرب من السعديين رغم قوتهم وسيطرتهم على جزء كبير من المغرب، وذلك لوجود عاملين، أولهما أن السعديين أعداء الوطاسيين في المغرب، وبني زيان وبني وطاس هم على وثاق بينهم. ويعد الوطاسيون هم الحكام أصحاب الشرعية وخلفاء المرنيين[3]. فلو تمت الاستعانة بالسعديين ونجحوا في ذلك، فإنهم سوف يطمعون في ضمهم لتلمسان إليهم[4]، أما العامل الثاني فهو انشغال السعديين بمجابهة الاسبان والبرتغال، وتحرير الثغور من بين أيديهم، وكذلك الصدام مع بني وطاس.

لم يسعى الزيانيون إلى إقامة تحالف، وانشغل السعديين بالتثبت بأركان دولتهم، ووجودهم في المغرب لم يعطهم الفرصة للخروج من دائرته. ورغم ما اجتمع من خصال في السعديين جعلهم ذلك أفضل من الاسبان والعثمانيين من لقب الأشراف والجهاد ضد الغزاة. ويعد السعديين من أتباع الطريقة الشاذلية ولها مريدين في تلمسان رغم هذا لم هناك الاتصالات غير تلك التي أجراها أحمد الاعراج الذي خلعه أخوه مُحَمَّد الشيخ سنة 1549م، بالسلطان أحمد الزياني والذي أزاحه حسن بن خير الدين، بعد سعيهم للحصول على الدعم من الاسبان، بما يمكنهم استعادة ملكهم، وهذا التواصل قد تم بوثيقة بتاريخ 17 جويلية 1540م مفادها التوسط عند الاسبان لمساعدة

[1] عز الدين بن سيفي، **العلاقات الجزائرية المغربية (1246 – 1330هـ/ 1830 – 1912م)**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه ل م د في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، بودواية مبخوت، جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان، 2017م/2018م، ص 21.

[2] عز الدين بن سيفي، المراجع نفسه، ص 21.

[3] عمار بن خروف، مراجع سابق، ص93.

[4] عمار بن خروف، مراجع سابق، ص 93.

ضد مُحَمَّد الشيخ في مقابل ذلك يتم التنازل عن مدينة فاس[1]، وهذا التواصل الأول من نوعه. أما التواصل الثاني فقد أجراه مُحَمَّد الشيخ حين علما بالتواصل الحاصل بين السلطان أحمد الزياني وأخيه أحمد الأعرج، فعمل هذا الأخير على استمالة السلطان ووزيره وغلق الباب من جهة المساندة الاسبانية، مقابل مساعدة من مُحَمَّد الشيخ السعدي على استرجاع ملكه وعرشه من حسن بن عبد الله الموالي للعثمانيين، فقاد السعديين حملة نحو تلمسان، وتمكنوا من دخولها، وإزاحة حسن بن عبد الله[2]، وهنا يصطدم مُحَمَّد الشيخ بالعثمانيين بعد ذلك.

ثانيا: العلاقات العثمانية الوطاسية :

بعد أن تحدثنا عن العلاقات بين الأطراف الثلاثة، سوف نتطرق إلى العلاقات الوطاسية العثمانية والسعدية العثمانية وما ينجم عنهما.

بعد تمكن عروج من الدخول لتلمسان سنة 1517م، وعزل أبي حمو الزياني في معركة تلمسان 1518م ضد الاسبان وأبي حمو، طلب من السلطان الوطاسي مُحَمَّد البرتغالي عدم التحالف ضد العدو المشترك وهم النصارى، مقابل تقديم المساعدة ضد خصومه السعديين وضد كل المناوئين في المغرب الأقصى، فوجد مُحَمَّد البرتغالي أن هذه فرصة لتقوية الحدود، تمثلت في حليف يعينه على الأعداء الاسبان والسعديين الذين أصبحوا يهددون عاصمة ملكه فاس[3]. فيتبين لنا من هذا أن عروج بربروس كان يسعى إلى إقامة علاقات ودية بينه وبين السلطان، والاتحاد معه لمواجهة الخطر المسيحي المتمثل في الاسبان والبرتغال المحتلين للسواحل المغربية، والمتواجدين أيضا في وهران والمرسى الكبير، والذين لم يرغبوا في وجود بابا عروج في تلمسان، وهو الذي ظهر

[1] عمار بن خروف، المراجع نفسه، ص 93 -94.

[2] عمار بن خروف، المراجع نفسه، ص 94.

[3] خشوش نعيمة – بن سماعيلي أسماء، **العلاقات المغربية خلال حكم البيلربايات (1519 – 1587)**، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تخصص تاريخ حديث ومعاصر، عبد القادر فلوح، جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة، 2017/216، ص 32.

كمنافس لهم ومحرر، ورافع لواء الجهاد. أما وقوفهم في وجهه فهو من أجل إقامة دولة قوية في المغرب الأوسط وبالتعاون مع حكام تلمسان[1]، ولكن العلاقة لم ترقى إلى المستوى. ويظهر ذلك عندما طلب بابا عروج المساعدة من مُحَمَّد البرتغالي الوطاسي، وهذه المساعدة لم تصل من سلطان فاس، ذلك لأن الجيش الذي أرسله السلطان الوطاسي يبدو أنه سلك طريقا طويلا عبر طريق مليلة، هذا ما يجعله يتأخر في الوصول، رغم أن عروج كان ينتظر المدد، وقد توجه نحو الغرب في طريق ملتوية نحو الساحل[2]. ويذهب أيضا عزيز سامح إلى القول بأن عروج اتصل بالسلطان الوطاسي بفاس[3]، ولكن في رأي توفيق المدني ليس هناك ما يثبت أن عروج كان ينتظر وصول الجيش من السلطان مُحَمَّد البرتغالي[4].

إن هذه العلاقات استمرت بعد استشهاد عروج مع خير الدين الذي أصبح حاكما على الجزائر، إذ في سنة 1531م عندما سمح سلطان بني وطاس لخير الدين بالرسو بتيطوان والعرائش للتزود منهم بالحبوب والمؤن، وخلال هذه الفترة أيضا كان الاعتراف بالسلطة الروحية للسلطان العثماني[5].كما أن هذه العلاقات استمرت حتى من بعد خير الدين مع حسن آغا، حيث طلب من أبي حسون الوطاسي سفنا يريد استعمالها ضد حملة شارلكان على الجزائر[6]. واستمرت العلاقات على هذا النحو في عهد حسن ابن خير الدين إذ رفض السلطان الوطاسي استقبال المتمرد بوطريق 1544م الذي ثار والتجأ إلى فاس، غير أن السلطان رفض استقباله وتقديم المساعدات له. وفي سنة 1545م رفض عمر الوطاسي حاكم دبدو الذي رفض استقبال

[1] غيلاني السبتي، **قراءة في تاريخ العلاقات السياسية الجزائرية – المغربية (1516 – 1912)** ، مجلة الإحياء، العدد الرابع عشر، ص 512.

[2] خشوش نعيمة – بن سماعيلي أسماء، مراجع سابق، ص 34.

[3] عزيز سامح التر، مراجع سابق، ص 63.

[4] أحمد توفيق المدني، مراجع سابق، ص 190.

[5] غيلاني السبتي، مراجع سابق، ص 513.

[6] أحمد شربيتي، **العلاقات الجزائرية – المغربية (905 – 1194هـ / 1500 – 1780م)** ،مذكرة التخرج لنيل شهادة الماستر، تخصص: حديث ومعاصر، مراد قبال، جامعة الجيلالي بونعامة – خميس مليانة، الجزائر، 2016/2015، ص 34.

السلطان الزياني ووزيره غانم، ورفض تقديم المساعدات لهم أيضا، وقام بالقبض عليهم[1].ومن خلال هذا نلاحظ أنه رغم العلاقات الحسنة بين الجانبين إلا أنها لم ترتق إلى الجانب العسكري إلا في عهد صالح رايس مع أبي حسون الوطاسي. وقد عبر إبراهيم حركات بأن حكام بني وطاس اعترفوا بالسيادة العثمانية على بلاد المغرب من الوهلة الأولى، حيث تم الدعاء للسلطان العثماني ونقش اسمه على العملة[2]. لقد ارتقت هذه العلاقة، وانتقلت من التمثيل العثماني في الجزائر إلى الباب العالي. ففي هذه المرة يقول صاحب كتاب الشرفاء: ((...لجأت أم ملك فاس وابنه وأبو حسون إلى السلطان الأعظم التركي حين رأوا أن الشريف مصمم على عدم إطلاق سراح الملك ما لم تسلم له مكانس كفدية...))[3]. من خلال هذا القول يمكن الاستنتاج بأن العلاقات بين بني وطاس في المغرب الأقصى والأتراك العثمانيين قد أصبحت علاقات تعاون، حيث أن الوطاسيين استعانوا بالسلطان العثماني حين لاحظوا عدم قدرتهم على صد الخطر السعدي، بعد أن صمم الشريف السعدي على عدم إطلاق سراح سلطانهم إلى أن يتم تسليمه مدينة مكناس . فما كان على السلطان العثماني سوى أن يبعث سفيرا إلى الشريف ((...أوفد سليمان سفيرا إلى الشريف الذي اغتاظ جدا لما رأى من قلة الأدب التي عومل بها لكن ما أغضبه هو رسالة سليمان التي يطالب فيها بصيغة الأمر أن يطلق سراح ملك فاس، وأن يمتثل أوامره وإلا فإنه سيغتاظ من تصرفه...))[4] لقد أوفد السلطان سليمان سفيرا إلى مُحَّد الشيخ السعدي سلطان المغرب حاملا رسالة السلطان والتي جاء فيها طلبه بإطلاق سراح الأسير أحمد أبي العباس، سلطان بني وطاس، وقد كان السلطان ينتظر مثول الشريف لأمره، وإلا سينزل عليه الغضب العثماني. والواضح من خلال النص أن هذه الرسالة استفزت الشريف السعدي، ذلك أنها جاءت بصيغة الأمر، حتى كاد الأمر يصل

[1] خشوش نعيمة – بن سماعيلي أسماء، مراجع سابق، ص 71.

[2] إبراهيم حركات، **المغرب عبر التاريخ**، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ج2، ص 206.

[3] دييكودي طوريس، **تاريخ الشرفاء**، مُحَّد حجي، مُحَّد الأخضر، الدار البيضاء، المغرب،127.

[4] دييكودي طوريس، المصدر نفسه، ص 128.

إلى قطع رأس السفير، غير أن وزيره نصحه بعدم فعل ذلك[1]. كما أن هذه السفارة لن ينجم عنها أي شيء، وأن العثمانيين لم يتحركوا بفعالية الأكثر، ولم يمارسوا ضغوطات أكثر، ما جعل العلاقات بين الطرفين تكون ضعيفة ، ويعد بعض المؤرخين سبب ضعف تراجع هذه العلاقات هو ميل الوطاسيين في طلب المساعدة من الاسبان والبرتغال وسعي السلطان العثماني في ترك فرصة للتفاهم مع الشريف السعدي[2]. ونلاحظ من خلال المصادر والمراجع التاريخية عدم وجود الاتصال بين الوطاسيين والعثمانيين سواء في الجزائر أو في مقام الخلافة العثمانية بعد إطاحة مُحَمَّد الشيخ بهذه الدولة نهائيا، وهروب أبي حسون إلى الاسبان، ثم البرتغال وبعد ذلك نزوله في حجر باديس ومجيء صالح رايس إلى هناك، وهجومه على السفن البرتغالية، وإلقاء القبض على أبي حسون الذي وجد في تلك السفن، وأخذه إلى الجزائر[3]. سوف يعود تفعيل هذه العلاقات عبر مساندة صالح باشا بيلرباي الجزائر لأبي حسون من أجل استرجاع عرشه وملكه في حاضرة ملكه مدينة فاس[4].

يتبين لي مما ذكر وحسب ما عرضناه سابقا، ومن المعلومات القيمة التي جمعتها المصادر والمراجع التاريخية، والنظرة التي أخرج بها، وإن كانت لا تختلف كثيرا عن الذين قدموا نظرتهم في الموضوع، أن هذه الحملة كانت حملة إرجاع أبي حسون الوطاسي إلى عرشه في فاس، بعد قيام أتباع مُحَمَّد الشيخ بالهجوم على حدود تلمسان، بل هي فرصة سانحة بالنسبة لصالح رايس بعد امتلاكه الشرعية أو وسائل النجاح، حيث سيكون الهجوم الذي قام به أتباع السعديين سببا كافيا للقيام بحملة على المغرب، ولكن ما سوف يجعل هذه الحملة ناجحة بالفعل، هو وجود أبو حسون الذي عمل على إقناع صالح رايس بالهجوم على المغرب، ووجوده بجانب صالح رايس في نقطتين مهمتين أولهما، أن القادة والقبائل الذين هم في صف مُحَمَّد الشيخ السعدي سيعمل أبو حسون

[1] دييكو دي طوريس، المصدر نفسه، ص 128.

[2] عمار بن خروف، مراجع سابق، ص 104.

[3] نبيل عبد الحي رضوان، مراجع سابق، ص 369.

[4] نبيل عبد الحي رضوان، مراجع سابق، ص 369.

على كسب ودهم وسحبهم لصفه، وجمعه للموالين له سوف يجعل النصر مضمونا جزئيا ينتظر التطبيق في الميدان، وهو ما سيجعل صالح رايس يدخل المعركة، رغم أن جيش مُحَّد الشيخ أكبر من جيش الأتراك العثمانيين ومعهم أبا حسون. أما النقطة الثانية فهي مهمة أيضا في كسب المعركة قبل بدئها، وهو أن سكان المدينة لا يميلون إلى حكم السعديين، وحتى أن السعديين يدركون ذلك، بل هم يميلون إلى بني وطاس نظرا لما عانوه من بطش السعديين. وهذا الميول و الود اتجاه بني وطاس من رعاياهم في فاس وماجاورها، يكسب الشرعية في دخول صالح باشا إلى المغرب، وتحقيق المأرب و الطموحات السياسية. أي أن العثمانيين لو قاموا بالهجوم على المغرب وإدخاله عنوة، سوف يصعب الأمر عليهم، ويشجع السعديين للهجوم على العثمانيين، فيكون السكان معهم، لذلك كان هذان العاملان مهمان، خاصة العامل الثاني لأن العامل الأول قد لا يكسب الشرعية الكبيرة، أما العامل الثاني فهو عامل قوي ومهم، كون أبا حسون من المغرب. كما أن الأسباب التي وضحناها سابقا مهمة جدا، حيث تجعل الدخول العثماني للمغرب دخولا شرعيا وتمكن لهم، وتجعل صالح يطمح إلى إكمال هذا المشروع كاملا غير منقوص. ولقد تم خلال هذه الفترة اعتراف أبو حسون بالوصاية العثمانية على المغرب حيث تم الدعاء للسلطان العثماني في خطب الجمعة وصك العملة العثمانية. فهذه العلاقات بين الطرفين لن تدوم طويلا بعد قيام وعودة صالح رايس إلى الجزائر،حيث قام الأتراك بتصرفات غير محمودة مثل السلب والنهب والسرقة، وسادت الفوضى مما سيجعل الأمن ينعدم لدى سكان عاصمة أبي حسون، وهذا ما سيجعلهم يثورون عليهم. وهنا ما كان على أبي حسون سوى أن يتصرف ويقوم بدفع الضرائب لهم، فيخرجون مع بقاء نفر قليل منهم، لأن خروجهم سيجعل السعديين في موقع قوة، وتصبح الفرصة مواتية لإعادة مدينةفاس وما جاورها تحت حكمهم، والقضاء على الأسرة الوطاسية وقتل أبا حسون وبذلك تنتهي وتزول دولة بني وطاس.فإن قتل أبا حسون من طرف مُحَّد الشيخ السعدي كان بحجة القضاء على الحزب العثماني، الشيء الذي زاد من صعوبة الدخول بصفة كلية تحت لواء السيادة العثمانية.

ثالثا: العلاقات الجزائرية العثمانية السعدية:

1 – حملة مُحَّد الشيخ على تلمسان:

دشنت العلاقة العثمانية السعدية بإرسال السلطان العثماني سفارة إلى سلطان المغرب يطلب منه إطلاق سراح السلطان الوطاسي، ولكن سلطان المغرب لم يستجيب لذلك. فعلاقة ايالة الجزائر مع المغرب خلال العهد العثماني في منتصف القرن السادس عشر، تمثلت في قيام سلطان المغرب مُحَّد الشيخ السعدي بالهجوم على تلمسان، بعد أن استتبت له الأمور في فاس وباديس، فقسم الإدارة في الدولة بين أولاده، وعزم على استكمال مشروعه والسير نحو طموحاته، المتمثلة في غزو تلمسان. كان تعدادها كما يقول دييكو طوريس في كتابه تاريخ الشرفاء ((...بحيث أصبح له في المجموع ثلاثين ألف فارس...))[1] كما نلاحظ أن الشريف جمع ثلاثين ألف فارس مكونة من تسعة آلاف من حاملي الرماح، وأربعة عشرة ألفا من حملة الرماح، وعشرة آلاف من الجنود المسلحين بالرماح[2]. وهذه الحملة جرت بعد إرسال وفد من تلمسان إلى فاس لاحتلال تلمسان [3]. وضمن هذه الحملة تراسل مُحَّد الشيخ مع الطرق الصوفية الشاذلية والجزولية لتهيئة الأوضاع وسحب السكان لصفه، كما أنه جعل قيادة جيشه في يد ابنه عبد الله بمساعدة أخيه عبد القادر وسيد قبيلة بني راشد المنصور أبي غانم وأبو أحمد المطرود من تلمسان[4]. انطلقت القوات المغربية من وجدة نحو تلمسان، وتم محاصرة تلمسان حوالي تسعة أشهر، وانتهت باستيلاء السعديين عليها، إلا أن ابن مُحَّد الشيخ مُحَّد الحران قتل أثناء الحصار، بعد تمكنه من إحكام سيطرته على مستغانم، فدخل السعديين تلمسان سنة 1551م، ونفوا عنها الأتراك، وامتد حكمهم حتى وادي الشلف[5].

---

[1] دييكو دي طوريس، المصدر نفسه، ص 168.

[2] دييكو دي طوريس، المصدر نفسه، ص 168.

[3] مبارك الميلي الهلالي، مراجع سابق، ص 75.

[4] المكي جلول، **مسألة الحدود بين الجزائر والمغرب من 631 إلى 1263هـ/ 1234 – 1847م** ، رسالة جامعية للحصول على الماجستير، مولاي بالحميسي، جامعة الجزائر، 1413هـ/1993م، ص85.

[5] فيصل مبرك، مراجع سابق، ص 410.

فسعى حسن باشا لإبرام اتفاق مع السعديين من أجل محاربة الاسبان وإخراجهم من وهران، إلا أن السعديين نظروا على أنها فرصة ينبغي استغلالها، حيث أن قيادة الجيش الذي أرسله حسان باشا من الانكشارية حسن قورصو، والقبائل المخزنية تحت قيادة سلطان بني عباس السلطان عبد العزيز وتوجهوا الى مستغانم حيث كان من المقرر اجتماع الجيشان، ولكن القوات السعدية التي بقيادة عبد الله ابن مُحَمَّد الشيخ انتهك التحالف، ونصب أنفسهم على مدينة تلمسان ووصل حتى الأراضي بني عامر، وبعد تلقى القوات العثمانية خبر فعلة السعديين تحركت القوات العثمانية بسرعة بقيادة حسان باشا، وبعد معركة دامية تمت هزيمة السعديين وتكبدوا خسائر فادحة وقتل أحد قادتهم، وتم النصر للقوات العثمانية، فقامت بمطاردة السعديين حتى حدود المغرب، وهرب الابن الأكبر لمحمد عبد الله الغالب. وبعد النصر في المعركة سار العثمانيون إلى تلمسان ودخلوها، وتم تعيين القائد صفا مع حامية قوامها ألف وخمسمائة جندي [1]. لم يقم حسان باشا بإنهاء الأسرة الزيانية وإنما قام بتنصيب الأمير من بني زيان مولى للعثمانيين، هو الحسن بن عبد الله الثاني سنة 1550م[2]. كما سبق وأن ذكرنا أن السعديين لم تكن نيتهم المساعدة والتحالف مع حسان ابن خير الدين الذي قدم لهم يده نحو التحالف، ولكن رأوا أن هذه فرصة مناسبة، وهذا ما يتجلى لنا عند دييكو دي طوريس.

2 – تدخل السلطان العثماني:

أ – عزل حسان باشا ابن خير الدين وتعيين صالح رايس بيليري على ايالة الجزائر وإرسال الرسائل إلى سلطان المغرب:

في ظروف غامضة تم عزل حسان ابن خير الدين، إلا أن هناك اختلاف بين الكتابات التاريخية ورسائل السلطان العثماني، والتي سنأتي على ذكرها. أخذ صالح رايس مكان حسان باشا، وأرسل

[1] H.- D. DE GRAMMONT, commentaie pécédet,p70.

[2] مُحَمَّد خير فارس، مراجع سابق، ص 40.

السلطان العثماني رسالتين إلى حاكم المغرب مُحَمَّد الشيخ، يخبره فيهما بعزل حسان بن خير الدين وأنه لم يحسن الجوار، ويحيطه علما بأنه عين مكانه صالح باشا،متمنيا أن تكون علاقاته به حسنة، وجاءت الرسائل تحمل نفس التاريخ في أوائل محرم 959/ يناير 1552[1].

لقد جاء في محتوى الرسالة ((... هذا مثالنا الشريف العالي السلطاني، وخطابنا المنيف السامي الخاقاني، لازال نافذا مطاعا بالعون الرباني والصون الصمداني أصدرناه إلى الجانب العالي الأميري الكبيري .....نسل السلالة الهاشمية .....حاكم ولاية فاس يومئذ الشريف مُحَمَّد دام علوه وزاد سموه...أصدرنا هذا المثال الشريف العالي إلى جانبه العالي.....))[2].

ب – سفارة الشيخ أبي عبد الله الصالح مُحَمَّد بن علي الخروبي الطرابلسي الأولى:

قام السلطان العثماني بإرسال سفارة إلى المغرب برئاسة العلامة الشيخ أبي عبد الله الصالح مُحَمَّد بن علي الخروبي الطرابلسي[3] نزيل الجزائر، وكان سبب إرسالها هو عقد سلام بين الدولتين، وتحديد حدود الايالة الجزائرية والمملكة المغربية، والاعتراف بالسيادة العثمانية، وأن يتم نقش اسم السلطان العثماني على العملة المغربية، مثلما كان الأمر يجري في العهد الوطاسي[4]. وتعتبر هذه السياسية هي سياسية الاختراق الصامت من قبل السلطان العثماني لدى بعض الباحثين،أي وكأنه يريد إلحاق المغرب بالدولة العثمانية بأقل الخسائر، مصداقا لقوله تعالى: ((...فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى...))[5]، والمهمة التي كلف بها الشيخ الفقيه الخروبي والتي أرسل فيها مفوضا باسم السلطان العثماني سليمان القانوني لدى مُحَمَّد الشيخ في مراكش، هي الاعتراف بالسلطان العثماني، مقابل عدم التدخل في الشؤون الداخلية للمغرب، وجمع كلمة المسلمين، والدعاء للسلطان

---

[1] عبد الهادي التازي، **التاريخ الدبلوماسي من أقدم العصور إلى اليوم**، الهيئة العامة لمكتبة الاسكندرية، 1408 – 1988، ج 8، ص 16.

[2] انظر الملحق رقم 04.

[3] هو أبو عبد الله مُحَمَّد بن علي الخروبي ، ولد بطرابلس الغرب 880هـ/1475م وقدم الى الجزائر 916هـ/ 1510 ونشأ فيها. مكي جلول، مراجع سابق، ص 89.

[4] عبد الهادي التازي، مراجع سابق، ص 21.

[5] سورة طه، الآية رقم 44.

العثماني في منابر المغرب، وإطلاق سراح الأسرى من بني وطاس، وتحديد الحدود بين الجزائر والمغرب الأقصى غير أن ملك المغرب رفض كل تلك الشروط ولم يقر بها، ووافق فقط على مسألة الحدود التي تم تحديدها. وقد كانت هذه السفارة سنة 1553م بعد الذي وقع في تلمسان[1]،وهذا ما كنا قد ذكرناه سابقا، ولكن بشيء من التفصيل ذلك أن الناصري يقول بأن الشيخ الخروبي قدم مرتين كسفير [2].

3 – خرق معاهدة الحدود وحملة صالح رايس وأبو حسون على المغرب – مقتل أبو حسون:

يبدو أن السلطان مُحَمَّد الشيخ السعدي لم يرد الالتزام بهذه المعاهدة، حيث لم تمر ثلاثة أشهر على سفارة الشيخ الخروبي، إذ قام السلطان السعدي بنقض المعاهدة وإرسال القبائل للإغارة على الحدود ونهبها، وإن كان هذا مستبعدا ومتحفظا عليه لدى بعض المؤرخين، اعتمادا على أن السعديين كانوا يواجهون تمردا داخليا يمنع القيام بحملة تخريبية على حدود الجزائر، ولكن يبدو أن هذه الحملة قد حملت في طياتها أسبابا أخرى. ولعل أهم هذه الأسباب أن العثمانيين قد أدركوا هدفهم من الحلف الإسلامي،ألا وهو الوصول بالحكم العثماني نفسه إلى الحاضرة المرينية فاس والتي كان ميول أهلها إلى أبي حسون الوطاسي،فهو ابن مؤسس الأسرة الوطاسية،ومن ثم فإن هدفه من الحملة العثمانية لم يكن يعني سوى العودة لهذه الأسرة إلى حكم المغرب وإن كان تحت السيادة العثمانية[3]،وهو ما رفضه مُحَمَّد الشيخ السعدي، ويرى صالح رايس أن القضاء عليه لازما[4]. وقد غادر صالح رايس في (سبتمبر) 1553م بقوة تتألف من ستة آلاف جندي مسلح وألف من الخيال وعدد من المدافع، وصحب معه أمير إمارة كوكو، فسار الجيش على طريق وهران وتلمسان، وانضمت القبائل إلى الجيش، وواصل الباشا مع قواته إلى حجر باديس، فلقي أبا حسون هناك،

---

[1] الشيخ عدة، **نشأة الصراع العثماني المغربي ودو الجزائر في نسيج معالم العلاقات بينهما**، مجلة قضايا تاريخية، العدد الرابع عشر (14) جمادى الثانية 1442هـ/ جانفي 2021م، جامعة حسيبة بن بوعلي – الشلف – الجزائر، ص 35.

[2] الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، **كتاب الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى الدولة السعدية**، جعفر الناصري – مُحَمَّد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1418هـ/ 1997م، ص 27.

[3] نبيل عبد الحي رضوان، مراجع سابق، ص 369.

[4] عمار بن خروف، مراجع سابق، ص 180.

ودعمه مولاي عمر ملك دبدو، وهو الذي كان لاجئا في مليلية منتظرا عودة أبا حسون[1]. وعندما علم الشريف بخروج العثمانيين جمع مجلسه وأخذ يشاورهم في ذلك، فأشار عليه بعضهم بعدم الخروج إليهم وانتظر في فاس، بينما رأى فريق آخر بالخروج وملاقاتهم، ففعل ذلك وأعد قوته المتكونة من أزيد من ثلاثين فارس، والتي قدم بها معه من مراكش ومناطق أخرى، وعشرة أو اثني عشر ألف رجل من الرماة، ومختلف أنواع البنادق، إضافة إلى حراسه وعدد قليل من فاس[2]. وبعد معركتين في تازا وفاس انهزم الشريف، وانسحب يجر أذيال الهزيمة إلى مراكش. فدخل صالح مدينة فاس مصحوبا بأبي حسون في يوم 3 صفر 963هـ/ 8 يناير 1553م، وأعلن خلالها التبعية للسلطان العثماني[3]، وكان قد أرسل إليه يطلب منه إمداده بالقوت لإكمال المشروع، غير أن السلطان لم يستجب له[4].

عاد صالح رايس ومن معه إلى الجزائر، فقام الشريف باستغلال الفرصة وهجم على أبي حسون وقتله، فعادت فاس إلى حكم السعديين ((... فخرج مولاي بو حسون لمقابلة أحد أولاده فهزمهم فرجعوا عليه وحالوا بينه وبين محلته فمطربه الفرس فطعنوه فسقط فحزوا رأسه وأتوا جيشه وأس أميرهم على الرمح فانهزموا بلا قتال ومات من أهل فاس نحو الأربعين...))[5].

4 – سفارة الخروبي الثانية:

لقد كانت نتائج عودة فاس إلى حكم السعديين بعد مقتل أبي حسون خطيرة على المستويين الإقليمي والإسلامي، حيث سعى السلطان السعدي مُحَمَّد الشيخ إلى عقد تحالف مع الاسبان والبرتغال[6] الذين يعدون أعداء الإسلام، أما العثمانيين فيمكن اعتبار عداءهم في إطار تضارب

[1] خشوش نعيمة – بن سماعيلي أسماء، مراجع سابق، ص 87.
[2] دييكو دي طوريس، مصدر سابق، ص 190.
[3] نبيل عبد الحي رضوان، مراجع سابق، ص 369.
[4] عمار بن خروف، مراجع سابق، ص 185.
[5] المجهول، مصدر سابق، ص ص 25 – 26.
[6] مُحَمَّد مُحَمَّد علي صلابي، **الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط** ، دار التوزيع النشر الاسلامية، ط1، 1421هـ/2001م، ص 241.

المصالح والتوجهات. وقد وصلت المعلومات عن التحالف للجزائر إلى صالح رايس، والذي عد هذا الأمر خطرا على الإسلام ككل، وعلى الوجود العثماني في شمال افريقيا. فبادر الباشا بإرسال ابنه كمبعوث بعد فتح بجاية سنة 1555، ليخبر السلطان بهذا التحالف وخطره، كما أنه قد طلب منه الأسطول لفتح وهران من أجل قطع هذا التحالف، فلب السلطان النداء[1]. وقد تم إرسال سفارة ثانية للشيخ الخروبي، والتي سبق لنا أن أشرنا إلى أن الناصري ذكر أنه جاء مرتين سفيرا إلى المغرب[2]. فهذه السفارة حملت نفس المطالب بأهداف ونتائج مختلفة. ولعل أهمها هي منع التقارب السعدي الاسباني، والاعتراف بالسيادة العثمانية على المغرب. فإذا تمت هذه الأخيرة تم إبعاد الخطر المرتقب. ولعل أهم النتائج في هذه السفارة هو رفض مُحَّد الشيخ المطلق لوجود العثمانيين ورفعه شعار التحدي بقوله: "سلم على سلطانك أمير القوارب ((سلطان الحوتة))، وأيضا لا بد أن أذهب إلى مصر وأخرج الأتراك منها،" فكان الرد العثماني هو قطع رأس مُحَّد الشيخ وأخذه إلى إسطنبول.

وصل السفير إلى فاس والتقى بعلمائها فدرس عليهم إجازته، ثم توجه إلى مراكش فأخذ على علمائها[3]، واستنكر بعض البدع عليهم[4]. ونقلا عن المجهول أن رسول السلطان أعاد لذاكرة العاهل المغربي ما كان عليه أسلافه في الدول السابقة من تواد وتحاب وتقارب للباب العالي، فبقي ملك المغرب صامتا ولم يجبه بشيء، وقد لقي العاهل المغربي تكريما وتقديرا من السلطان[5]. فقد نجح السفير في مهمته بالحصول على اتفاق مشترك مرة أخرى في الحصول على الهدنة وضبط الحدود بوادي ملوية[6]. وعندما عزم السفير على المغادرة استأذن من مُحَّد الشيخ في الانصراف، فانصرف

[1] شوقي عبد الكريم، مراجع سابق، ص 179.

[2] الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، مصدر سابق، ص 27.

[3] السيد جلو مكي، مراجع سابق، ص 90.

[4] مُحَّد الصغير بن الحاج بن عبد الله الوفراني النجار المراكشي الوجار، مصدر سابق، ص 42.

[5] عبد الهادي التازي، المراجع نفسه، ص 21.

[6] السيد جلول مكي، مراجع سابق، ص 90.

وطلب منه ما إذا كانت لديه رسالة يبلغها للسلطان سليمان، فكان رد الشريف السعدي بأن طلب منه أن يسلم على السلطان، ملقبا إياه بأمير القوارب، وقائلا له كذلك بأن سلطان المغرب لابد أن ينزل لك على محمل مصر، وبأنه سيقاتله هناك[1].

مسألة الخلافة:

من أبرز المسائل التي دار حولها الصراع العثماني السعدي، هي أن السلطان السعدي كان يرى أنه أولى بخلافة المسلمين من السلطان العثماني، وجمع كلمة المسلمين من حقه كونه من آل البيت، حيث يقول المؤرخون في نسب الأشراف السعديين ((...وأمير المؤمنين هذا أعلى الله كعبه، وأناخ في صدور المسلمين رعبه هو اليوم أمام الجماعة وانسان حذقه الاسلام وقبة تاج الخلافة النبوية ومعتقد كرسيها المنصوب على قواعد العدل وسريرها المرفوع على دعائم الحق وركن الإمامة المستلم عند أهل الأرض والخليفة المخصوص بتراث الرسالة ومالك امرة المؤمنين بحكم الولاء والكفالة...))[2]. يرى الفشتالي أن الخلافة من حق السعديين، ذلك أنهم آل البيت، ويذهب اليفرني في نفس الاتجاه، حيث أن مُحَمَّد المهدي بن مُحَمَّد القايم بأمر الله بن عبد الرحمن ينتهي نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وفاطمة رضي الله عنها بنت رسول الله ﷺ[3]. فقد كانت هذه المسألة هي أساس الصراع السعدي العثماني معتمدين على النسب النبوي الشريف، وحديث الرسول ﷺ: ((الخلافة في قريش...))[4]. ويذهب المؤرخون إلى تأكيد النسب الشريف للسعديين،كما أنه يوجد اختلاف في ذلك، واختلاف في سبب تسميتهم بذلك[5]، حيث أن

---

[1] عبد الهادي التازي، مراجع سابق، ص 21.

[2] أبي فارس عبد العزيز الفشتالي، **مناهل الصفا في مأثر موالينا الشرفاء**، عبد الكريم كريم، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة، ص 25.

[3] مُحَمَّد الصغير بن الحاج بن عبد الله الوفراني النجار المراكشي الوجار، مصدر سابق، ص 3.

[4] أبو هاجر مُحَمَّد السعيد بن بسيوني زغلول، **موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج 4، ص671.

[5] لمزيد من المعلومات أنظر الى الناصري كتاب الاستقصاء، وكذلك تاريخ الدولة السعدية التكدمارتية لمجهول.

طموح الشريف السعدي هو إخراج العثمانيين من بلاد المغارب، وشمال افريقيا ((... لابد لي أن أذهب إلى مصر وأخرج منها الأتراك من أحجارهم وإنزالهم من ديارهم...))[1]. كما أن سلطان المغرب الذي كان يرى أحقيته بالخلافة، كان يلقب السلطان العثماني سلطان الحواتة[2]، وعندما عزم السفير على المغادرة استأذن من مُحَمَّد الشيخ في الانصراف، وطلب منه ما إذا كانت لديه رسالة يبلغها للسلطان سليمان، فكان رد الشريف السعدي بأن طلب منه أن يسلم على السلطان، ملقبا إياه بأمير القوارب، وقائلا له كذلك بأن سلطان المغرب لابد أن ينزل لك على محمل مصر، وبأنه سوف يقاتله هناك[3].فقد توضح للسلطان العثماني بأن هدف الشريف السعدي وغايته، هو الظفر بخلافة المسلمين، وأنه لا يريد أن يكف عن هدفه. ولعل سبب هذه السفارة هو محاولة إبعاد مُحَمَّد الشيخ عن التحالف مع الاسبان أو التقرب منهم. وتعد هذه السفارة فرصة أخيرة لمحمد الشيخ، لأن رده للسلطان العثماني سيكون مستفزا له ويقضي عليه بعدها[4].

4 – التحالف السعدي البرتغالي الاسباني:

تثبت الوثائق الاسبانية والمراجع التاريخية المغربية وغير المغربية التواصل السعدي البرتغالي الاسباني، وقد سعى إليه مُحَمَّد الشيخ السعدي، وهو الذي ظهر كخصم عنيد في وجه طموحات العثمانيين[5]. ورغم أنه قد أظهر عدم خوفه من السلطان سليمان في السفارة الأخيرة التي قام بها الشيخ الخروبي، لكنه اتخذ إجراءات تثبت عكس ذلك [6]،حيث أنه ذهب إلى ربط الاتصال مع الاسبان والبرتغال عبر الحكام التابعين في الجزائر والمغرب، مثل حاكم وهران أو حاكم مازكان. ففي إحدى الرسائل التي أرسلها حاكم وهران إلى الأميرة اسبانيا ابنة شارلكان يخبرها فيها بأن

---

[1] مُحَمَّد الصغير بن الحاج بن عبد الله الوفراني النجار المراكشي الوجار، المصدر نفسه، ص 43.

[2] مُحَمَّد الصغير بن الحاج بن عبد الله الوفراني النجار المراكشي الوجار، المصدر نفسه، ص 43.

[3] عبد الهادي التازي، مراجع سابق، ص 21.

[4] مُحَمَّد الصغير بن الحاج بن عبد الله الوفراني النجار المراكشي الوجار، مصدر سابق، ص 43.

[5] مُحَمَّد مُحَمَّد علي الصلابي، مراجع سابق، ص 201.

[6] عمار بن خروف، مراجع سابق، ص 194.

الشريف يريد التحالف مع ملك اسبانيا، فيعرض عليه أن يمده بـ 12000جندي تكون على نفقته هو[1].

لقد بعث ملك البرتغال جون الثالث رسالة إلى حاكم مازكان البرتغالي الفارودي كالفولو يرد على طلب مُحَّد الشيخ في مدريد ولشبونة لتزويده بقوات عسكرية ضد العثمانيين، حيث أن الرسالة حددت بعض الشروط لتقديم المساعدات للسعديين، منها تقديم بعض المراكز الساحلية المغربية مثل باديس بنيون والعرائش، بالإضافة إلى تموين القوات التي سيرسلها، وبعد ذلك قام الملك الاسباني يخبره بضرورة التحالف ضد العثمانيين ،ونتيجة لهذا التقارب فقد عقدت هدنة بين السعديين والبرتغاليين بواسطة حاكم مازكان لمدة ستة أشهر، وذلك في مطلع 962هـ/1555م. وقد وصل مفعول الهدنة زمنا طويلا[2]. ورغم أن السلطان سليمان سعى إلى إنشاء الحلف الإسلامي مع السلطان السعدي، إلا أنه لم يقبل مفاوضته على السيادة الترابية للمغرب، فنجد أنفسنا نطرح السؤال التالي: ما هي الدوافع والأسباب التي دفعت مُحَّد الشيخ السعدي لتحالف كهذا، ولم يقبل التحالف مع السلطان العثماني؟.والإجابة على ذلك تكون من خلال ما ورد في المصادر والمراجع التاريخية، وهو كره الأتراك العثمانيين، والأحقية في الخلافة الإسلامية وهو ما ذكره سابقا، واعتبار أن العثمانيين عجم وليسوا عرب، لذا لا تجوز فيهم الخلافة، وأن السعديين عرب وشرفاء من آل البيت[3] . فهذه هي الأسباب التي من المفترض جعلت مُحَّد الشيخ السعدي يذهب من هذا الاتجاه. وقد تساءل المؤرخ المغربي عبد الهادي التازي حول ما إن كان السلطان مُحَّد

[1] DE M ,LEMAREHEAL DE MAC-MAHON , DUC DE MAGENA , commentaie pécédet ,p269.

[2] مُحَّد مُحَّد علي الصلابي، الدولة العثمانية عوامل و أسباب السقوط، مراجع سابق، ص 241.

[3] نبيل تيشيش – عطية عبد الكامل، **محاولات مُحَّد الشيخ السعدي مع الصليبيين الاسبان ضد الجزائر خلال النصف الثاني من القرن 16م – قراءة في الدوافع والنتائج**، المجلد الثامن، العدد الأول أكتوبر، 2022، ص 17.

الشيخ السعدي قد أرسل سفارة للتأكد من نوايا السلطان سليمان، وحول ما إن كان صالح رايس قد أحسن الجوار[1].

يرى هذا الأخير أن السلطان مُحَمَّد الشيخ أرسل سفارة إلى المشرق، وقد تساءل الناس عنه وعن أولاده، أما عن صالح رايس فإنه لم يحسن الجوار، حتى السلطان سليمان لم يكن جادا في طلبه، بل إن الأوضاع التي كانت تعيشها الدولة العثمانية جعلت السلطان يقدم على ما أقدم عليه، وهو يعلم ما يجول في خاطر السلطان سليمان. كما أنه يرى ما إذا كان السلطان العثماني قد أقام حلفا مع الفرنسيين، فإنه يحق للسلطان السعدي إقامة حلف هو الآخر مع الاسبان[2].فالملاحظ هنا هو أن مُحَمَّد الشيخ السعدي قابل السلطان العثماني بفكرة عدو عدوي صديقي، كونه يعتبره عدوا ومنافسا له.

وتوجد أسباب أخرى لهذا التحالف، وهي تواجد الاسبان في المرسى الكبير، وقد عانوا هم أيضا من تضييق العثمانيين عليهم.كما أن شخصية مُحَمَّد الشيخ ونسبه الشريف جعل الاسبان يترقبون ما الذي يحدث بينه وبين الأتراك، وضعف بني وطاس في المغرب، وتحاشي مُحَمَّد الشيخ الصدام مع الاسبان، عكس أبا حسون الذي استهدف نفوذهم وتحالف مع العثمانيين وهجموا على المغرب. وهذا ما جعل الفرصة ممكنة للتحالف السعدي الاسباني[3]. ولقد سعى إلى إيجاد فرصة من أجل التحالف مع السعديين.ولعل إحدى أسباب عدم قبول شارلكان لعرض أبا حسون هي خشيته من أن تكون تلك المساعدة تعكس له حساباته، ويكون هناك تقارب عثماني سعدي، والسبب الآخر هو رغبة هذا الأخير في استمالة الشريف السعدي نحوه، وهو ما سيكون فعلا[4].

[1] عبد الهادي التازي، مراجع سابق، ص 22.

[2] عبد الهادي التازي، مراجع سابق، ص 22.

[3] عمار بن خروف، مراجع سابق، ص ص 193 – 194.

[4] عمار بن خروف، مراجع سابق، ص 178.

ولقد جرت هذه المفاوضات على النحو التالي:

حسب التقارير والوثائق حول هذه المفاوضات، أن المفاوضين الاسبان التقوا بالملك الشريف في 15 ماي من سنة 1555م في فاس وسلموه رسائل، حيث أنهم جاءوا تلبية لطلب الأمير عبد الله والقائد منصور، كما أنه طلب منه إرسال وفد للتفاوض مع حاكم وهران في شأن قضية الجزائر، فكان الرد منه بأنه لا يزال عند فكرته بشأن طرد الترك من كامل إفريقيا، ولذلك طلب إمداده بعشرة آلاف مقاتل يحملون السلاح[1].فقد كان تطور هذا التقارب يرجع إلى الحملة المشتركة بين صالح باشا وأبي حسون (1553 – 1554) إذ أصبح التحالف ضرورة حتمية ضد عدو مشترك بينهما. و قد بادر الكونت دالكوليت الحاكم الاسباني بإرسال رسائل من نهاية 1554م وبداية 1555م إلى عبد الله ابن مُحَمَّد الشيخ السعدي، وأبي غانم المزوار الأسبق لتلمسان، حيث رد عليه عبد الله بترحيب كبير لعقد الاتفاق مع الاسبان، وأرسل جواز مرور له إلى فاس[2]، وهذا ما عرضناه سابق، وأهم ما تعرضه هذه الوثائق، إذ أن الغرض من هذا التحالف هو الحصول على دعم عسكري قدره عشرة آلاف جندي، وعدد كبير من المشاة، وقطع من المدفعية، بغرض الاستيلاء على الجزائر والثأر من الجزائريين، مقابل عقد سلام دائم مع الملك الاسباني شارلكان، ومنع الأتراك والقراصنة بالتردد إلى موانئه، وبتحمل نفقات القوات الاسبانية حال نزولها وهران، إلى أن يتم أخذ مدينة الجزائر وتركها للإسبان[3] .وقد قام الحاكم الاسباني في وهران بالتعليق على هذه المفاوضات، وهو يطلب من الملك الاسباني بأن يسمح له بالتعامل مع الشريف ((...يبدو أن الله نفسه قاد هذه المفاوضات ذات الأهمية العظيمة لخدمة جلالة الملك وسموكم...))[4] .كما أن الملك السعدي قد أبدى حقده على الجزائر، إذ أظهر نواياه للإسبان، وما سيفعله عقب احتلالها من تحطيم ونهب وأسر كل ما هو موجود فيها من الأتراك باعتبارهم دخلاء، وغض النظر عن العرب

[1] أحمد توفيق المدني، مراجع سابق، ص ص 338 – 339.

[2] عمار بن خروف، مرجع سابق ، ص 196.

[3] عمار بن خروف، مرجع سابق،ص ص 196 – 197. للمزيد ينظر الى ص 197 الى 203 .

[4] DE M ,LEMAREHEAL DE MAC-MAHON , DUC DE MAGENA ,p269.

إذ لم يقاوموا في صف الأتراك[1]. وتظهر هذه المفاوضات حماس السعديين أكثر من الاسبان،إلا أنهم عملوا على إخفائه تجنبا للحساسية التي سوف يسببها عند العامة والرعية اتجاههم. وقد سعى السعديون أيضا إلى محاولة إبعاد العنصر اليهودي عن المفاوضات خشية وصول المعلومات إلى الجزائريين، ذلك لأن يهود فاس على علاقة مع الذين بتلمسان[2]. وما إن وصلت أخبار هذا التحالف إلى مسامع صالح رايس، حتى بادر بالإرسال إلى السلطان العثماني يخبره عن هذا التحالف، وخطورته على الوجود العثماني في الشمال الأفريقي، والإسلام والمسلمين، ويطلب أسطولا لقلع الورم الخبيث من جسم الجزائر، ألا وهو تحرير وهران والمرسى والكبير فاستجاب السلطان لذلك سريعا، وأرسل أسطولا إلى الجزائر[3].كما قام بإرسال سفارة إلى مُحَّد الشيخ السعدي يعرض عليه مبايعة السيادة العثمانية على المغرب، ولكن الرد السعدي كان رفضا تاما. وذهب الشريف إلى حد تلقيب السلطان العثماني بالسلطان الحوتة، حيث كان هذا بمثابة فرمان موت السلطان مُحَّد الشيخ السعدي من قبل السلطان سليمان[4] . ولكن هذا التحالف لم يتم وسيبقى معلقا، إذ يشير إبراهيم حركات إلى تخلي الاسبان عن حلفائهم السعديين[5]، نظرا للظروف السياسية التي كانت تعيشها اسبانيا، فتنازل شارلكان عن عرشه وصعد ابنه فليب الثاني.وقد أثار هذا التأخر في الرد حفيظة السلطان السعدي، وتسربت إليه الشكوك في جدية المفاوضات، فأخذ يفقد ثقته في الحصول على اتفاق معهم، يحصل بموجبه على المساعدات العسكرية التي طلبها، وبدأت مخاوفه تزداد على مملكته من هجوم آخر للعثمانيين، مما يجعله يميل في المفاوضات معهم على كرهه للمرابطين[6]، وهذا ما سيعمل على إعادة سير المفاوضات إلى ما كانت عليه، خشية

[1] مُحَّد مُحَّد على الصلابي، مرجع سابق، ص 202

[2] نبيل تشيش – عطية عبد الكامل، مراجع سابق، ص 20.

[3] شوقي عبد الكريم، مراجع سابق، ص 179.

[4] إبراهيم حركات، مراجع سابق، ص 341 – 342.

[5] إبراهيم حركات، مراجع ساق، ص 343.

[6] عمار بن خروف، مراجع سابق، ص 199.

نجاح العثمانيين في استمالة السعديين إليهم، فتذهب جهود الاحتلال سدى، لذلك بادر الكونت دالكوديت في جويلية 1556 بالرد على الشريف باتفاق جديد وتنازلات إذا فكر في التراجع. ولعل أهم النقاط المدرجة في هذا التحالف، هي إبرام اتفاق سلام مع الشريف لمدة عشر سنوات على الأقل، يتمتع خلالها رعايا الملك الاسباني بحرية التجارة في ولايات الشريف السعدي.بالإضافة إلى القبول بتوفير اثني عشر ألف من المشاة مع قطع الذخيرة، ويدفع الشريف رواتبهم من اليوم الأول إلى انتهاء المهمة، كما سيدفع التكاليف كاملة، ومصاريف المدفعية[1]. فعمل صالح رايس على توجيه ضربة قاسية إلى الاسبان في وهران، حيث أنه قد سعي إلى هذا التحالف، بعد أن جاءه المدد من السلطان بعد إتمام الاستعدادات كاملة، وقرر بدء الهجوم فوافته المنية. لكن حسن قورصو واصل السير نحو الهدف المنشود بدعم من الانكشارية لما له من نفوذ عليهم، حيث بدأت بوادر النجاح تظهر، ولكن جاء أمر السلطان بطلبه للأسطول من أجل الدفاع عن عاصمة الخلافة المهددة من قبل أندريا دوريا[2].

ولعل السؤال الذي يطرح هنا، من المستفيد من هذا التحالف أكثر، هل السعديين أم الاسبان؟.

لقد قامت دولة السعديين على أساس الجهاد ومحاربة المحتلين وتحرير الثغور في المغرب الأقصى، وإن أكثر أتباعها ومؤيديها هم أصحاب الزوايا، إذ تحولت من محاربة أعداء الدين ومغتصبي الأرض، ووجهت أنظارها إلى محاربة الذين يحملون نفس الهدف والغاية، وتستعين بأعداء الملة والأمة الإسلامية، لتحارب المسلمين الذين يحملون نفس الدين، وإن اختلف المذهب المتبع واللسان واللغة فإن الدين واحد، والهدف واحد والغاية نفسها، ألا وهي تحرير الأندلس، وتزعم خلافة المسلمين في العالم. فالسعديون يحملون نفس الغاية أو الهدف مع العثمانيين، وكل منهم اعتمد

[1] عمار بن خروف، مراجع سابق، ص 201.

[2] شوقي عبد الكريم، مراجع سابق، ص 201.

نهجا للوصول إلى هذه الغاية. فقد اعتمد السعديون على نسبهم ومكانتهم، والجهاد الذي قاموا به في المغرب الأقصى،لكن هذا الطريق لم يجد مسلكا إلى القلوب، فسعوا إلى نهج القوة. ولكن العثمانيين تصدوا لهم وردوا عليهم بأن دخلوا أهم المدن في المغرب وإعادة الحكم الوطاسي وكادوا يقضون عليهم، إلا أن السلطان العثماني رأى بضرورة إبقاء فرصة للسلم، ولكن الشريف السعدي رأى عكس ذلك، حيث أنه من الضروري الاتحاد مع الاسبان الذين هم أعداء للعثمانيين، لإخراجهم من شمال إفريقيا، وتدمير الجزائر، والوصول إلى مصر، ومحاربة العثمانيين فيها، وإخراجهم منها. فهنا يتبين لنا أن طموح السلطان السعدي شخصي، يعتمد في ذلك على النسب والأحقية على حد قوله ﷺ في شأن الخلافة، كما أن الشريف السعدي ترك محاربة الاسبان والبرتغال وتحرير المدن التي احتلوها في المغرب، ووجه جهوده لفتح جبهة جديدة هو غير قادر على مجابهتها، ويطلب العون من أعدائه، أو يمكننا القول تحالف ضد عدو مشترك أعداء الأمس أصدقاء اليوم.

المبحث الثاني: قراءة في العلاقات العثمانية الفرنسية وأثرها على الجزائر:

منذ أن طلب الملك الفرنسي مساعدة السلطان العثماني سليمان القانوني ضد عودة الملك الاسباني شارلكان ، بدأت العلاقات العثمانية الفرنسية في التطور إلى حد أن تم توقيع الاتفاقيات ومنح الامتيازات، والتعاون ضد العدو المشترك ألا وهو الاسبان، وهذا التعاون قدشمل ايالات الرياس التابعيين للدولة العثمانية. وتعد الجزائر إحدى هذه الايالات التي شملها التعاون ضد الاسبان، والذي بدأ في عهد خير الدين واكتمل مع خلفائه.

في 22 (أيلول) 1551م/958هـ أرسل الباب العالي إلى حسن باشا، يأمره بالعودة إلى استانبول[1]، وهذا الأمر هو بمثابة عزل من السلطان العثماني،وذلك بعد أن طلب السفير الفرنسي من حسان باشا القيام بعمل مشترك،بالهجوم على وهران أو الهجوم على الأندلس، ولكن حسان

[1] عزيز سامح التر، مراجع سابق، ص 181.

باشا رفض القيام بذلك[1] . وقد عبر جون ب . وولف بأن حسان باشا تعلم من والده عدم الثقة في الفرنسيين، فهم أنفسهم قد اعترفوا بتردده في المشاركة قلبا وقالبا في جهودهم العسكرية، ولذلك سعى السفير الفرنسي لتبديل البيلارباي لدى السلطان في استانبول [2].أما مبارك ميلي فإنه يعطي تفسيرين لهذه لحادثة، أولهما، أن حسان باشا قد فهم من عرض السفير الفرنسي أنه عبارة عن استدراج له، ليقدم على مغامرة تعود عليه بعواقب وخيمة، في حين تكسب فرنسا أضعافا مضاعفة، أما التفسير الثاني أن حسان باشا كان متأكدا من قوة الجزائر وقدرتها على إخراج الاسبان وحدها، لذلك رفض عرض السفير الذي لن تكون له أي نتيجة في حالة تنفيذه، وأن ذلك سوف يجعل فرنسا تعمل من أجل الحصول على امتيازات جديدة[3]. ويذهب الكثير من المؤرخين بأن الفرنسيين عملوا على إثارة مخاوف الباب العالي، بقولهم أن حسان باشا يحاول الاستقلال عن الدولة العثمانية، وأنه يعتبر نفسه جزائريا، هذا بالإضافة إلى التهم الأخرى، فاستدعاه الديوان الهمانوني بناء على كل التهم التي وجهها له السفير الفرنسي، حيث بقي في استانبول ثمانية أشهر معزولا من إمارة الجزائر، وكلف القائد صفا بإدارة الجزائر بصفة مؤقتة[4].

وفي أبريل 1552م/ 959 قدم صالح رايس بيلرباي على الجزائر، فيذهب عزيز سامح التر إلى أنه يقال بأن السفير الفرنسي كان يثني عليه لدى الديوان الهميانوني، وأنه طلب مساعدته، حيث أن السفير الفرنسي التزم بوعده لصالح وبدأ يثني عليه وقد نجح في مساعيه[5].ولكن هذا بعيد لأن السلطان قد أثنى على صالح رايس لدى أعيان الجزائر والسلطان السعدي. وفي يناير 1552 كتب السفير الفرنسي من استانبول إلى هنري الثاني يخبره بتعيين صالح رايس حاكما على الجزائر،

[1] مبارك بن محمّد الهلالي الميلي، مراجع سابق، ص 79.
[2] جون ب . وولف، مراجع سابق، ص 69.
[3] مبارك بن محمّد الهلالي الميلي، مراجع سابق، ص 80.
[4] عزيز سامح التر، مراجع سابق، ص ص 182 – 183.
[5] عزيز سامح التر، مراجع نفسه، ص 184.

وقد وصفه بأنه شخصية لها حسن تدبير وسلوك غير الحاكم السابق، وهو يقصد بذلك حسان ابن خير الدين[1].

وفي 3 ماي 1552 أعطى الأمر لسنان باشا بأن يشرع في إعداد حملة، ووضح له بأن يحقق الاتصال بالأسطول العثماني ومختلف تشكيلاته البحرية، وفي الرسالة التي أرسلها السلطان، والتي يأمره فيها بتخريب وحرق ونهب الأراضي التابعة للعدو. وقد وجه السلطان إلى درغوث وصالح رايس تحية إجلال وتقدير، معترفا له ببسالته وشجاعته وهي تحية لا توجه إلى الكل[2]. ويذهب يحي بوعزيز إلى القول بأنه في صيف عام 1552م، اتجه الأسطول العثماني إلى سواحل كلابر بإيطاليا، بطلب من الملك الفرنسي هنري الثاني، حيث قام بغزو المنطقة، وهدد نابولي التي طلبت من دوريا النجدة، فاعترضه درغوث في مطلع أوت وافتك منه سبع قاليرات، وأرغمه على الفرار بعد أن فقد 700شخصا من رجاله الألمان[3].أما منور مورش، فيرى أن نتائج الحملة لم تكن مرضية للطرفين بحسب الاتفاق الذي وقع بينهما .[4]

واستنجد هنري الثاني بأحد خلفاء خير الدين، البايلرباي صالح رايس سنة 1552م،وقد أنجده أيضا ضد نفس العدو دائما: فليب الثاني، ابن شارلكان. وفي سنة 1552 أرسل الملك هنري الثاني مبعوثه الخاص الفارس دالبيسي[5].وقد كلف صالح رايس الأسطول بالتوجه إلى جزيرة ألبا وضربها مع السواحل الاسبانية الأخرى، وقد شارك الريس درغوث مع الأسطول الجزائري ومشاركة البحار الفرنسي دولاغارد، حيث استمرت الأعمال البحرية ضد الاسبان فترة طويلة،

[1] منور مورش، مراجع سابق، ص 119.

[2] منور مورش، مراجع سابق، ص 119.

[3] يحي بوعزيز، **علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا 1500 – 1830**، دار البصائر، ط خ، 2009، الجزائر، ص 49.

[4] منور مورش، مراجع سابق، ص 120.

[5] نايت بلقاسم، مراجع سابق، ص 17.

تكبد خلالها الاسبان خسائر فادحة[1]. وفي الحملة المشتركة بين الأسطولين العثماني (94 سفينة منها 70 قادسا)، والفرنسي (24 قادسا وغليوطتان) قد عملا معا في صقلية، واستوليا على جزيرة بنتيليريا، حيث التحق بهما أسطول الجزائر، فكانت نتائجها الاستيلاء على جزيرة ألب وعلى الجزء الأكبر من كورسيكا وموقعها الرئيسي[2].

ومن جانب آخر يقول هايدوا عن صالح في حملته على ميورقة ((...مع بداية جوان 1553م يخرج ميناء بسفنه الأربعين من شراعية كبيرة وأخرى وصغيرة...))[3] . فلم تكن نتائج هذه الحملة ذا أثر إيجابي على الجزائر، حيث قدرت الخسائر الحاصلة في أسطوله بـ 150 شخص، فانسحب مع الهزيمة[4]. وقد عاد صالح رايس في نفس السنة من شهر جويلية، حيث سيقوم بمواجهة السفن البرتغالية ويأسرها،مع وجود أبي حسون الوطاسي فيها[5].وعند عودته من فاس إلى الجزائر أرسل صالح باشا أسطولا إلى توسكانة لمساعدة أربعة آلاف شخص من الفرنسيين[6]. وفي سنة 1554م اشتكى الفرنسيون من قلة التعاون التي أظهرها درغوث بعد أن أصبح قائدا للأسطول، حيث تأخر في الوصول للالتحاق بالأسطول الجزائري ليساعده في كورسيكا وشواطئ توسكانا، وقد كانت تجهيزات أسطوله ضعيفة، كما أنه قام بجمع الغنائم والهجوم على منطقة البوي، واستولى على قسط حيث تم أسر 6000 شخص وهي نتيجة غير مرضية حسب منور مورش[7]. وقد عبر دغرموا بأن التحالف الذي كان في عهد خير الدين تواصل مع صالح رايس،عندما كان في الطريق من أجل تحرير بجاية ((...بينما صالح رايس في طريقه من العاصمة إلى بجاية في إحدى محاولاته لطرد

[1] عزيز سامح التر، مراجع سابق، ص 186.
[2] منور مورش، مراجع سابق، ص 121.
[3] ديغو هايدوا، مصدر سابق، ص 100.
[4] يقول عزيز سامح التر بأنه تمكن من أسر عشرة سفن الاسبانية وبرتغالية.
[5] فري ديغو هايدوا، مصدر سابق، ص 101.
[6] عزيز سامح التر، مراجع سابق، ص 191.
[7] منور مورش، مراجع سابق، ص 122.

الاسبان منها، إذ بسفن مسرعة وراءه تلحق به ... وعلى رأسها رئيس قساوسة دير كابوا (Capua)، حاملا رسالة فيها طلب نجدة ملك فرنسا، الذي كان غارقا في حرب شعواء، شنها عليه فليب الثاني، ملك اسبانيا))[1]. غير أن هذا القول لا يوضح في أي موقع كانت هذه الحرب، ولكن يمكن تفسيرها من خلال دراسة منور مورش. ففي سنة 1555 كانت الحملة بقيادة الكابودان باشا بيالي باشا ودرغورث مساعدا له، وهنا انضم الأسطول الجزائري إليه، حيث أن الأسطول العثماني ساعد الفرنسيين في عملياتهم بكورسيكا وتوسكانيا، وقام ببعض العمليات في المياه الإيطالية الجنوبية وفي مقاطعة كالابرية[2].

ما يمكننا استخلاصه من هذا، هو أن علاقات الجزائر الخارجية كانت ضمن العلاقات العثمانية. كما أننا قد لاحظنا أن حكام المغرب منذ القديم سعوا إلى ضم تلمسان عاصمة الزيانيين، ونفس النظرة انتقلت إلى السعديين وسعوا إلى تحقيقها، غير أن مجيء العثمانيين إلى الجزائر، وهيمنتهم على الوضع السياسي ووضعهم تلمسان تحت نفوذهم، سوف يجعل حكام المغرب يدخلون في العلاقات مع العثمانيين الذين سعوا إلى احتواء المغرب منذ ظهورهم في شمال إفريقيا، حيث سعى السلطان العثماني إلى الدخول للمغرب عن طريق الاعتراف بحكم الوطاسيين، والاعتراف بشرعيتهم في المغرب، مقابل الاعتراف بالسيادة العثمانية على المغرب، وقد تم له ذلك في المرحلة الأولى قبل قضاء مُحَمَّد الشيخ السعدي على بني وطاس سنة 1549م، ثم المرحلة الثانية التي تمت عن طريق دخول صالح رايس إلى المغرب، وتنصيب أبي حسون في فاس. وقد تم الاعتراف بالسيادة العثمانية لفترة وجيزة من الزمن، لكنه في نفس الوقت حاول السلطان العثماني التقرب من السعديين في المغرب رغم تعديهم حدود تلمسان، وما نجم عن ذلك من نتائج أليمة على مُحَمَّد الشيخ السعدي، محاولا تخفيف وطأتها، والتقرب منهم بإرسال الرسائل، وسفارة الخروبي، سعيا إلى تحسين الأوضاع بين سلطان المغرب وحاكم الجزائر، وترسيم الحدود، وقد تم ذلك غير أنه

[1] نايت بلقاسم، مراجع سابق، ص 18.

[2] منور مورش، مراجع سابق، ص 122.

يمكن القول عنه سلام حذر مراعاة للظروف الداخلية والخارجية، غير أن حملة صالح باشا مع أبي حسون، سينتج عنها كسر هذه الودية والانتقال إلى التحالف مع أعداء الملة، وهو تطور خطير دخلت فيه العلاقات بين الطرفيين، لما له من أثر على الإسلام والعثمانيين. وهذا التطور سوف يؤدي إلى السعي من أجل كسره خلال إقامة الحملة على وهران، وإعادة إرسال السفارة. ولكنها سوف تعود بنتائج يكون ثمنها رأس الدولة السعدية. فمن أبرز المسائل في العلاقات العثمانية السعدية، هي مسألة الحدود والخلافة الإسلامية على العالم. والملاحظ هنا هو أن علاقات الجزائر الخارجية كان للسلطان العثماني دورا فيها في هذه الفترة، من خلال العزل والتعيين وإبرام الصلح. وكانت للدولة العثمانية أثر على العلاقات الجزائرية الفرنسية من خلال الحملات البحرية، وأغلب هذه الحملات لم يكن لها أثر كبير وإيجابي على الجزائر، وإن كانت في أغلب الأحيان لرفع ضغط الاسبان على الفرنسيين الذين شنوا عليهم وتحالف الفرنسيين مع العثمانيين لكون العداوة موجودة بين الفرنسيين والاسبان، ورأى السلطان العثماني استغلال هذا العداء لصالحه للتدخل في أوروبا وبسط سيطرته عليها وقد كان للجزائر مشاركة في أغلب الحملات من خير الدين بربروس وتواصل ذلك مع صالح رايس.

الخاتمة

الخاتمة:

وفي الأخير سنحاول عرض النتائج المتواصل إليها على شكل نقاط:

- التفكك السياسي وانعدام الوحدة السياسية للبلاد وكثرة الصراعات الداخلية والحملات المرينية والحفصية ساهم في اضعاف الدولة الزنانية وسهل دخول الاحتلال الاسباني للبلاد.
- قام الاسبان باحتلال المدن الساحلية وفرض ضرائب ومغارم على الأمراء الأخرين وأخضعوا سلطة الزنانيين لهم، وفي ظل الوضع الصعب كان الاستنجاد بالإخوة بربروس هو الحل المناسب، كونهم اشتهروا بالدفاع عن المسلمين وإنقاذ الأندلسيين، وعودتهم للاسبان.
- الاستنجاد بالإخوة بربروس كان ضرورة حتمية بالنسبة لسكان مدينة الجزائر، حيث أن البلاد لم تكن تمتلك قوة سياسية أو عسكرية تدافع عنها، وتعمل على إخراج الاحتلال من البلاد.
- استعمال عروج ومن بعده خير الدين الأعيان والعلماء للتعبئة للجهاد، والاتحاد تحت رايتهم. كما أن استقرار عروج في مدينة الجزائر، كان للأهمية الاستراتيجية التي تكتسها المدينة ثم اتجاه لاتخاذها عاصمة له، وسعيه لبناء دولة جديدة بحدود سياسية جديدة، وسار خير الدين على نفس النهج.
- مواجهة الصعوبات الداخلية والتحرشات الاسبانية، فكلما انتهت فترة أمير (باشا) من الأمراء الجزائر استغل الأمراء المحليين الفرصة للتمرد والعصيان والتحالف مع الاسبان، وكان يتم اخضاع تلك التمردات بالأسلوبيين اما بالقوة العسكرية او التقرب من عدو المترد.
- في سنة 1552 جاء صالح رايس بسياسية مشابهة لسياسية عروج وخير الدين، ومختلفة قليلا عن حسن آغا وحسن باشا، حيث قام بحملات عسكرية ذات أهداف سياسية بالدرجة الأولى، وقد اعتمدت استراتيجيته على إخضاع الأمراء المحليين بدءا من إدخال الصحراء الجزائرية، ثم محاولة القضاء على نفوذ أمير بني عباس، وهنا كان تماما مثل عروج، حينما قضى على سالم التومي، ثم ذهب للقضاء على البقية، ولم تكن الضريبة سوى حجة للوصول إلى هناك، حيث كان بالإمكان إرسال أحد قادته، ولكن كانت لديه رؤية سياسية وهو قادم من

الناحية الشرقية. وقد عاد من الناحية الغربية للصحراء، وبذلك تكون بقية المناطق الصحراوية قد دخلت تحت الحكم العثماني، ثم مد النفوذ العثماني إلى المغرب، وهنا كان مثل خير الدين في حملته على تونس، ثم قضائه على السلطة الزنانية في تملسان، وإدخالها تحت مظلة الحكم العثماني في الجزائر، وبذلك تم القضاء على التدخلات السعدية والتلاعبات الاسبانية.

- تحرير بجاية وكامل الساحل الشرقي من النفوذ الاسباني، وهو الهدف الأول لعروج، ثم خيرالدين والذين بعده، ثم من بعد ذلك سعيه لتحرير وهران، وذلك بفضل استغلال المعلومات الاستخباراتية، وقطع الطريق على التحالف السعدي الاسباني، وقضائه على حلم مُحَمَّد الشيخ السعدي في الجزائر، لم يكتمل حلمه في تحرير واهران ووفاته المنية في حملة واهران.
- أما النظرة التي نخرج بها من هذا الموضوع، هي أن صالح رايس قد رسم سياسة من خلال حملاته الداخلية وهي توحيد البلاد، والقضاء على الوجود الاسباني في الجزائر، وإدخال المغرب تحت السلطة العثمانية، والذهاب لتحرير الأندلس. وقد استطاع تحقيق جزء كبير من تلك الأهداف في فترة زمنية لم تتعدى 6 سنوات، رغم كبر سنه. وهذه الحملات كان ذات أثر، خاصة تلك التي كانت على المغرب، بينما لم يكن هناك أثر إيجابي كبير لتلك التي كانت مساعدة للملك الفرنسي. وكل من عروج وخير الدين ثم حسن آغا وحسن باشا قد حقق الانتصارات، إلا أن صالح رايس جمعهم في شخصه، وقد ساعدته الظروف في ذلك، إذ كانت علاقته جيدة مع السعديين لفترة من الزمن ومع الفرنسيين، ولم تكن هناك حملة اسبانية كبرى ، فاستطاع نشر الاستقرار في الداخل إلى حد كبير، ويوضح ذلك رسالة أعيان مدينة قسنطينة الى السلطان العثماني، حيث دخلت هذه المدينة خلال هذه الفترة، كما فعل مثل خير الدين حيث تقرب من أمير إمارة كوكو، وكانت سياسته تعتمد على الوحدة الداخلية، والقضاء على تدخلات السعديين وتلاعبات الاسبان، وبذلك استحق بطل الجهاد والوحدة.

وتظل هذه الدراسة ناقصة من عدة جوانب خاصة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

الملاحق

المحلق رقم 01: رسالة أهالي مدينة الجزائر الى السلطان سليم الاول (1519)

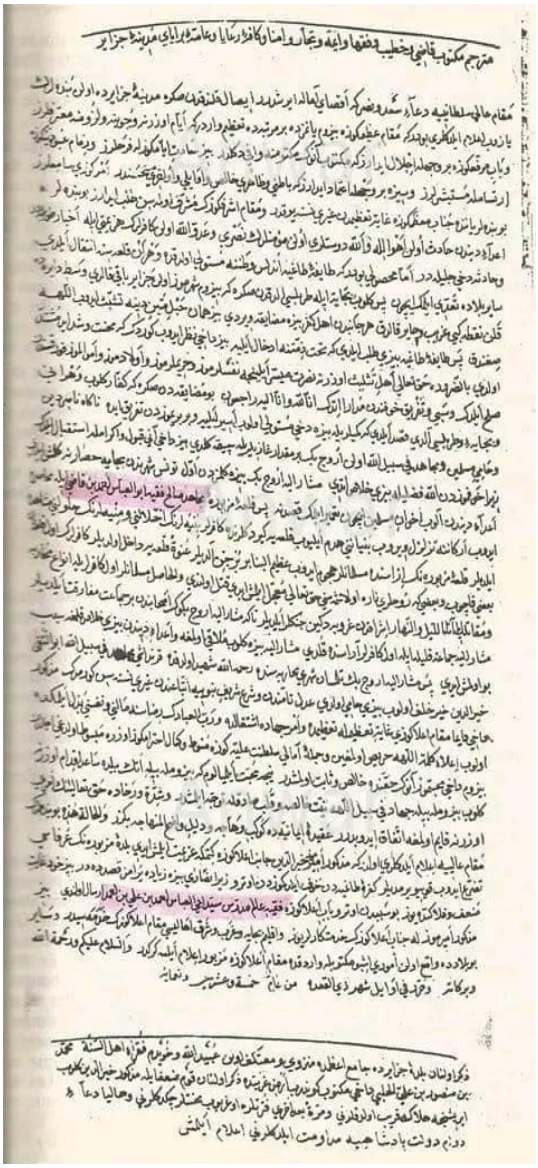

رسالة اهالي الجزائر إلى السلطان سليم الأول (1519م)

ترجمة رسالة القاضي و الخطيب و الفقهاء و الأئمة و التجار و الامناء و كافة سكان مدينة الجزائر العامرة:

إننا ندعوا بالسعادة و النصر لمقام السلطنة العلية، دعاء تبلغه أقصى الامالي، معبرين لمقامكم العالي بالإجلال و التعظيم أبدا، و إن رسالتنا هذه لا تستطيع أن تستعرض كل الأسرار. إن سعادة أيامكم هي فرحتنا و نحن لزمام أموركم و طاعتكم مستبشرون و عليكم لا محالة إعتمادنا. فظاهرنا مخلص لكم أولا و آخرا. فقد أطعنا أمركم و "خادميكم" و هم ليس لهم غير جنابكم يرفعون إليه غاية الإجلال و التقدير و ليس لهم من قصد غير شريف مقامكم العالي.

لقد مرت حوادث جليلة ولها أخبار طويلة في نصر المومنين و هزيمة أعداء الله, و مفادها أن طائفة الطاغية لمّا استولت على بلاد الأندلس، انتقلوا منها الى قلعة وهران للاعتداء على سائر البلاد. غير أنه بعد استلائهم على بجاية و طرابلس بقيت الجزائر (بين الكفار) كالنقطة في وسط الدائرة ، و بقينا لذلك حيارى متأسفين يحفنا الكفار من كل جانب و لكن تمسكنا بحبل الله المتين و اتكلنا عليه. غير ان طائفة الطاغية شددت علينا الطلب هادفة إدخالنا تحت ذمّته (سلطته) . و قد نظرنا في الأمر و رأينا أن المحن و الشدائد تشتد و ان الضرورة تقضي بحقن دماء أنفسنا و خوفا على حريمنا و أموالنا و أولادنا من السبي و التفريق ، تصالحنا مع الأهل التلثيث و أنا لله و إنا إليه راجعون.

و بعد هذه المضايقة و الحصار دخل الكفار إلى وهران و بجاية و طرابلس و كان قصدهم أن يأتوا بسفنهم و يستولون علينا و يأسرونا و يشتتون شملنا فجأة. آنذاك قدم ناصر الدين و حامي المسلمين المجاهد في سبيل الله "عروج باي" مع ثلة من "الغزاة" . فقابلناه بالعز و الإكرام و أستقبلناه ، لاننا كنا في خوف (من عدونا) فخلّصنا بفضل الله. و "عروج باي" المشار إليه جاءنا من تونس لإنقاذ بجاية من يد الكفار و تأهيلها بالمسلمين. فلما وصل إلى القلعة و حاصرها مع المجاهد الفقيه الصالح أبو العباس أحمد بن القاضي زلزلوا أركانها و هدموا بنيانها، و شاهد الكفار عندما دخل القلعة المسلمون و هاجموهم و أستولوا عنوة

1

1

[1] https://www.facebook.com/110476223798165/posts/178999813612472/، 20:01، 2023/07/01.

على برج منها، إختلال بنيانهم و قرب حتفهم هرب بعض الكفار الموجودين بالقلعة و قتل الباقون منهم.

لقد حارب المسلمون الكفار أناء الليل و أطراف النهار من طلوع الشمس إلى غروبها. و على الرغم من ترك بعض من جماعة عروج القتال ، بقي المشار إليه يقاتل الكفار مع جماعة قليلة ، و كان قد عزم على لقائنا غير أنه وقع شهيدا في حرب تلمسان رحمه الله. وقد حل مكانه أخوه المجاهد في سبيل الله أبو التقى "خير الدين" و كان له خير خلف، فقد دافع عنا و لم نعرف منه إلا العدل و الإنصاف و إتباع الشرع النبوي الشريف، و هو ينظر إلى مقامكم العالي بالتعظيم و الإجلال و يكرس نفسه و ماله للجهاد لرضاء رب العباد و إعلاء كلمة الله و مناط آماله سلطنتكم العالية مظهرا إجلالها و تعظيمها. على ان محبتنا له خالصة و نحن معه ثابتون.

و كيف لا نحبه و هو المشمر عن ساعد الجد و الإقدام ، و يقود الجهاد معنا في سبيل الله بنية خالصة و قلب صادق متفق الكلمة معنا في الشدة و الرخاء لأعلاء كلمة الله. فالعقيدة الإيمانية كوكب وهاج و دليل واضح المنهاج. و مفاد ما يريد "خادمكم" إعلامه لمقامكم العالي هو أن "خير الدين" كان قد عزم قصد جنابكم العالي إلا أن عرفاء البلدة المذكورة رفعت أيديها "متضرعة" إليه حتى لا يرحل خوفا من الكفار إذ هدفهم هو "النيل منا" و نحن على غاية الضعف و البلاء. و لهذا أرسلنا إلى بابكم العالي الفقيه العالم المدرس سي أبو العباس احمد بن علي بن أحمد و نحن و اميرنا خدام أعتابكم العالية و أهالي اقليم بجاية و الغرب و الشرق خدمة مقامكم العالي و أن المذكور حامل المكتوب سوف يعرض لحضرتكم ما يجري في هذه البلاد من حوادث و السلام . أول ذي القعدة 925(هـ) .

و قد أرسل أيضا المنزوي و المعتكف بالجامع الأعظم بمدينة الجزائر عبيد الله و خادم فقراء أهل السنة محمد بن منصور بن علي الحلبي، رسالة يذكر فيها بضعف القوم في أرض غربته، أنهم على وشك الهلاك عندما قدم خير الدين و قد وقعوا في المحن المرة تلو الأخرى أيام الإضطرابات و أنهم باقون على الدعاء بدوام أيام دولة السلطان.

2

1

[1] https://www.facebook.com/110476223798165/posts/178999813612472/، 10:13، 06/06/2023

ملحق رقم: 02 مرسوم السلطان العثماني بتقليد صالح رايس مقاليد الولاية.

مرسوم السلطان العثمانى بتقليد
صالـح رايس مقاليـــد الولايـة

بعث السلطان العثمـانى مرسومه إلى العلماء، والفقهـاء، وسائر رعايا الجزائر، يعلمهم فيه بتقليد صالح رايس مقاليد الولاية، وقد جاء فى ذلك المرسوم ما يلى:

(.. هذا مرسـومنا... أرسلنا إلى العلماء، والفضـلاء، والفقهـاء، والأئمة، والخطبـاء، وجميـع العلمـاء، والقواد، والـنقبـاء، وسائر رعـايانا بولاية الجـزائر الغربية، زيد توفيقهم، يتضمن إعلامهم أن صدقاتنا العالية، ومعتمد دولتنا القانية، أمير الأمـراء الكرام.... صالح باشا دام إقبالا، بولاية الجـزائر؛ فوضنا إليه تلك الأرض، وأمرناه بإحياء السنن والفروض، والرعايا أهل الإسلام ثمة فى أيام دولتنا العادلة فى أكمل الراحة، وأجمل الاستراحة، آمنين مطمئنين، لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فليكونوا مع أمير الأمراء المشـار إليه على أحسن حال وأكمل اتفاق، يراد حضرتنا قيـام ناموس الشرع القـويم، والصراط المستـقيم، وإحيـاء مراسم الإسلام، وطريقه سيـد الأنام، وحفظ العباد، وصون البلاد، وقـمع الكفرة الفجرة بكل ناد، وتقـبلوا ذلك واعتـمدوه، والله تعـالى هو الموفق بمنه وبمنه، والعـلامة الشريف حجة بمضمونه.

تحريراً فى أوائل محرم سنة تسع وخمسين وتسعمائة، الموافق يناير ١٥٥٢ م.

1

[1] فتحي زغروت، **العثمانيون ومحاولات إنقاذ مسلمي الأندلس [898هـ – 1115هـ] = [1492م – 1609م] منذ سقوط غرناطة حتى الطرد النهائي**، الأندلس الجديدة، ط 1، 1432هـ - 2011م، ص 377.

الملحق "رقم 03 رسالة سليمان القانوني إلى حاكم فاس محمد السعدي سنة 1552م

...)هذا مثالنا الشريف العالي السلطاني وخطابنا المنيف السامي الخاقاني، لا ازل نافذا مطاعا بالعون الرباني والصون الصمداني، أصدرناه إلى الجناب العالي الأمير، الكبير، الأكرمى، الأفخمى، الأكلمى، الأرشدى، الأعلى، الهامى، الماجد النصيرى، الحسبى، النسبى، نسل السلالة الهاشمية، فرع الشجرة الزكية النبوية، طراز العصابة العلوية، المخفوف بصنوف لطايف عواطف الملك الصم، حاكم ولاية فاس يومئذ الشرف محمد دام علوه وزاد سموه.....أصدرنا هذا المثال الشريف العالي إلى جنابه العالي، نخصه منا سلاما بتكميل صلاة (الصلات) المحبة بالتحيات الطيبات، وتتأكد بعطره صلات المودة بالتسليمات الزكيات وبعد: فإن الله جلت قدرته، وعظمت مشيئته، منذ أقامنا في دولة هائلة نركب خيولها، ونعمة طائلة نسحب ذيولها، وسيادة سائدة كالشمس وضحيها، وسعادة ساعية كالقمر إذا تليها، وخصنا خلافة جليلة عضد الإيمان بها منصور، ومنحنا سلطة ساعد الإسلام بها مرفوع، لا جرم وجب علينا، ...، وكان أبدا دأبنا ودائما عادتنا الاهتمام بإجراء الشرع المبين، وإنفاذ كلام سيد الأولين- عليه الصلاة وعلى آله أجمعين، والقيام بإطفاء نايرة الكفر والطغيان ، وطي الظلم والعدوان، ونشر العدل والإحسان، ولما بلغ سمعنا الشريف أن أمير الأمراء بولاية الجزائر سابقا حسن باشا لم يحسن المجاورة مع جيرانه، ومال إلى

جانبي العنف والإعتساف، ونبذ وارء ظهره طرق الوفاق والائتلاف ، وسد باب الإتحاد مع المجاهدين حماة الدين، لذلك بدلناهم غيره، فأنعمنا بولاية الجزائر على مملوك حضرتنا العلية، وخلاصة خدم أعتابنا الجليلة، أمير الأمراء الكرام، كبير الكبراء الفخام، ذي الجلال والإكرام، والاحترام صاحب الفرد والاحتشام، المختص بمزيد عناية الملك الأعلى صالح باشا، دام إقباله لفرط شهامته وشجاعته، وكمال دينه وديانته، فوضنا إليه تلك الديار، وأمرنا بإقامة الش ارع (الشرع) الشريف المتين، وإحياء تواقر سيد المرسلين، وصون

الرعايا، وحفظ الب اريا الذي هم ودائع الله تعالى، أن يكون مع أهالي الإسلام على أكمل اتحاد، وأجمل اتفاق، مجدا فيما يتعلق بالدولة والدين، وقيام ناموس سلطاننا المتين، مثابرا على دفع أعداء الدين وقمع الكفرة الفجرة المتمردين، على أن أقصى مراد حضرتنا العلية إحياء مراسم الإسلام، ثائرة الكفرة والمتمردين اللئام، وذلك الم ارم يكون باتفاق أم ارء الإسلام، واتحاد أمناء شرع سيد الأنام، ويتم به النظام، ولا يفنى لآثارهم في الشهور والأعوام، وأمرناه أيضا أن ينظر إلى أحوال المسلمين بنظر الإشفاق والمراحم، وبنظر بينهم بكمال العدالة وحسن المكارم، ليكونوا في أيام دولتهم العادلة آمنين مطمئنين لا خوف عليهم، ولا هم

يحزنون. ولا بد لكم أن تحسنوا المجاورة، وتذهبوا طريق حسن المعاشرة، مع كونكم أولاد سيد الأنبياء، ... صحتك الغالية إلى أعتابنا العالية.

تحريرا في أوائل شهر محرم سنة تسع وخمسين وتسعمائة، الموافق يناير (0440م) بمقام أدرنة.

الرسالة نقلا عن: فتحي زغروت ،العثمانيون وجهودهم...السابق الذكر[1]

الملحق 04 رسالة السلطان سليمان القانوني إلى حاكم فاس محمد السعدي سنة 1552م

.... >>فإن الله جلت قدرته وتعالت عظمته منذ أقامنا في دولة هايلة نركب خيولها، ونعمة طائلة نسحب ذيولها وسيادة سايدة كالشمس وضحيها...وإمضاء سني سنن سيد الأولين والآخرين ومظاهرة حماة الدين ومجاهدين الكفرة المتمردين وأنت من أولاد سيد المرسلين وقائد الغر المحجلين صلوات الله عليه وسلامه وقد سمع سيدتنا العلية حسن أقدامك وكمال دينك وديانتك وخلوص طويتك وصفاء سيرتك وقيامك في الذب عن المسلمين وقمع أعداء الدين ولذلك الشأن حباك أحسننا الشريف العالي السلطاني ورعاك جزيل فضلها السامي الخاقاني فأنعمنا عليك وعلى ولديك بثلاث خلع سنية لتكون صلة للمحبة منا وسببا لنسج المودة بيننا، على أن أقصى م ارد حضرتنا العلية أن تكون أهالي الإسلام وحماة دين النبي عليه السلام في أيام دولتنا العادلة في أكمل الراحة وأجمل الاستراحة آمنين مطمئنين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون أن شاء الله تعالى<<...

تحريرا في أوائل سنة تسع وخمسين وتسعمائة الموافق يناير 0440م، بمقام أدرنة.

هذا الجزء من الرسالة ،نقلا عن :نبيل عبد الحي رضوان ،جهود العثمانيين ...السابق الذكر[2]

---

[1] مدني محمد العيد – يزيد محمد أمين ، **موقف الدولة العثمانية من القضية الموريسكية (898هـ –1025هـ / 1492م – 1616م)** ، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ 1492م.1881م، شدري معمر رشيدة، جامعة أكلي محند اولحاج، الجزائر، 2017 – 2018م، ص 136.

[2] مدني محمد العيد – يزيد محمد أمين، مراجع سابق، ص 138.

1

[1] http://geography-library.blogspot.com/2012/06/blog-post_9635.htm54 :21 ، المكتبة الجغرافية 2023/06/06

المصادر والمراجع

المصادر العربية والمترجمة:

القرءان الكريم برواية ورش عن نافع.

العربية:

1– بن رقية التلمساني مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عبد الرحمن الجيلاني، الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة، تح – خير الدين سعيدي الجزائري، أوراق ثقافية للنشر والتوزيع، ط1، 2017.

2– سحنون الراشدي ، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، الشيخ المهدي البوعبدلي، عالم المعرفة، ط1، 2013، الجزائر.

3– الفشتالي أبي فارس عبد العزيز ، مناهل الصفا في مأثر موالينا الشرفاء، عبد الكريم كريم، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة.

4– مجهول، تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية، عبد الرحيم بنحادة، دار تينمل للطباعة والنشر، ط1، 1994، مراكش.

5– مجهول، سيرة المجاهد خير الدين بربروس في الجزائر، عبد الله حمادي، دار القصبة للنشر.

6– بن المفتي حسين، تقييدات ابن في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها، فارس كعوان، بيت الحكمة، الجزائر، 2009، ط 1.

7– الناصري خالد ، كتاب الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى الدولة السعدية، جعفر الناصري – مُحَمَّد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1418هـ/ 1997م.

8– الوفراني مُحَمَّد الصغير بن الحاج بن عبد الله ، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، السيد هوداس، مطبعة أنجي، 1888.

المترجمة:

1. طوريس دييكودي ، تاريخ الشرفاء، تر مُحَمَّد حجي، مُحَمَّد الأخضر، الدار البيضاء، المغرب.

2. كربخال مارمول ، افريقيا، تر مُحَمَّد حجي وآخرون، دار النشر للمعرفة، الربط، المغرب، 1408 – 1409هـ /1988 – 1989م، ج2.

3. مارمول كربخال، تر مُحَمَّد حجي ومُحَمَّد زنيبر أخرون، دار النشر للمعرفة، الربط، المغرب، 1408 – 1409هـ/ 1988 - 1989م.

4. خير الدين بربروس ، مذكرة خير الدين بربروس، تر مُحَمَّد دراج، الأصالة للنشر والتوزيع الجزائر، ط1، 1431هـ/ 2010م.

5. هايدو فراي ديغو ، تاريخ ملوك الجزائر، تر أبو لؤي عبد العزيز الاعلى، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

6. الوزان الحسن بن مُحَمَّد ، وصف افريقيا، تر مُحَمَّد حجي – مُحَمَّد الأخضر، دار الغرب الاسلامي، ط 2، 1983، بيروت – لبنان،ج1.

7. الوزان الحسن بن مُحَمَّد، وصف افريقيا، تر مُحَمَّد حجي – مُحَمَّد الأخضر، دار الغرب الاسلامي، ط 2، 1983، بيروت – لبنان، ج2.

المراجع العربية والمترجمة:

العربية:

1- بوعزيز يحي ، علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا 1500 – 1830، دار البصائر، ط خ، 2009، الجزائر.

2- بوعزيز يحيى، الموجز في تاريخ الجزائر ، دار البصائر، ، ط خ، 2009م الجزائر،ج2.

3- بوعزيز يحيى، الموجز في تاريخ الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، 2009م الجزائر، ج2.

4- التازي عبد الهادي ، التاريخ الدبلوماسي من أقدم العصور إلى اليوم، الهيئة العامة لمكتبة الاسكندرية، 1408 – 1988، ج 8، ص 16.

5- توفيق المدني أحمد ، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492 – 1792، دار البصائر، ط3، 2009، الجزائر.

6- توفيق مدني أحمد ، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492 - 1792، الشركة الوطنية للنشر التوزيع، الجزائر.
7- الجيلالي عبد الرحمن بن مُحَمَّد ، تاريخ الجزائر العام، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1415هـ - 1994، ط7، ج3.
8- حركات إبراهيم ، المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ج2.
9- بن خروف عمار ، العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، دار الامل، تيزي وزو، 2016، ط2، ج1.
10- خير فارس مُحَمَّد ، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي، ط1، 1999.
11- دراج مُحَمَّد ، الدخول العثماني الى الجزائر ودور الاخوة بربروس (1512 – 1543)، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 1، 1433هـ - 2012م.
12- رضوان نبيل عبد الحي، جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس واسترداده في مطلع العصر الحديث، مكتبة الطالب الجامعي، ط 1، 1408هـ- 1988م، المملكة العربية السعودية.
13- زغروت فتحي ، العثمانيون ومحاولات إنقاذ مسلمي الأندلس [898هـ - 1115هـ] = [1492م – 1609م] منذ سقوط غرناطة حتى الطرد النهائي، الأندلس الجديدة، ط 1، 1432هـ - 2011م.
14- سعيدوني ناصر الدين ، ورقات جزائرية دراسات وابحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار البصائر، الجزائر، 2009، ط 2.
15- سعيود إبراهيم ، الاسرى المغارب في ايطاليا خلال الفترة الحديثة من القرن 16 إلى القرن 18م. ومن 10 إلى القرن 12هـ، شركة الاصالة للنشر، الجزائر.
16- سويدي جمال ، الشخصيات البارزة في تاريخ الجزائر القديم من القديم الى 1830، منشورات التل، البليدة الجزائر،2007.
17- شوقي عبد الكريم ، الاستخبارات الجزائرية في العصر الحديث 897هـ - 1246م/ 1492م – 1830م، دار هومه، ط1.

18- الصلابي علي مُحَمَّد مُحَمَّد ، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط ، دار التوزيع النشر الاسلامية، ط1، 1421هـ/2001م

19- الصلابي علي مُحَمَّد مُحَمَّد ، كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي وسيرة الامير عبد القادر – تاريخ الجزائر الى ما قبل الحرب العالمية الاولى، دار المعرفة، بيروت لبنان.

20- عباد صالح، الجزائر خلال الحكم التركي، دار هومه، الجزائر، 2012.

21- العسلي بسام ، خير الدين بربروس، دار النفائس، بيروت، ط 1، 1400هـ/ 1980م.

22- العسيلي بسام ، الجزائر والحملات الصليبية، دار النفائس، بيروت – لبنان،1400هـ _ 1980م، 1406هـ _ 1987م، ط 1 وط3

23- عميرة مُحَمَّد و بن عميرة لطيفة بشاري ، تاريخ بجاية في ظل مختلف الأنظمة السياسية من عهد القرطاجيين إلى عهد الاتراك العثمانيين، دار المعارف، الجزائر، 1436هـ _ 2015م، ط1.

24- غطاس عائشة وزهرة زكية وآخرون، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، ط خ.

25- فكاير عبد القادر، الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية (910- 1206هـ/1505-1702م)، دار هومة، د ط، الجزائر، 2012م.

26- بن مُحَمَّد الهلالي الميلي مبارك ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، ج3

27- المختار العبادي أحمد، في تاريخ المغرب والأندلس، ط2، دار النهضة العربية، بيروت، 2013م.

28- مروش المنور، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني القرصنة والاساطير والواقع، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009، ج2.

29- مطوي مُحَمَّد العروي ، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، دار الغرب الاسلامي، 1998، ط 2.

30- نايت بلقاسم مولود قاسم ، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830، دار الامة، الجزائر.

المترجمة:

1. بنوجيت يوسف ، قلعة بني عباس إبان القرن السادس عشر للميلاد، تر سامية سعيد عمار – محفوظ قداش، دار النشر دحلب، الجزائر.
2. التر عزيز سامح، الأتراك العثمانيين في شمال إفريقيا، تر: مُحَّد علي عامر، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1989م
3. جوليان شارل أندري ، تاريخ افريقيا الشمالية، تر مُحَّد مزالي – البشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس، 1983، ط2، ج2.
4. جون ب. وولف ، الجزائر وأوروبا 1500 – 1830، تر أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة، الجزائر، ط2015، ط خاصة.

المراجع الاجنبية:

1- Albert Devoulx : la marine de la régence d'Alger, in Revue Africaine, N77, année 1869.
2- DE M. LEMARECHAL DE MAC-MAHON, DUCMENTS INEDITS SUR L'HISTOIRE DE DE MAGENTA, DOCUM L'OCCUPATION ESPAGNOLE EN AFRIOUE (1506 – 1574), ALGER, A. JOURDAN, LIBRAIRAE-EDITEUR 4, PLACE DU GOUVERNEMENT, 1875.
3- Moulay Belhamissi: Marine Et Marins D'Alger (1518- 1830),T1, Les Navires Et Les Hommes, Bibliothèque Nationale D'Algérie, Alger, 1996.

الموسوعات:

1- بن بسيوني زغلول أبو هاجر مُحَّد السعيد ، موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج 4.
2- بولودنين طارق ، موسوعة حكام الجزائر من الفتح الاسلامي إلى الإحتلال الفرنسي، بدون دار نشر.

الرسائل الجامعية:

1- بريكي نور الايمان ، كتاب تاريخ ملوك الجزائر لهايدو عرض ونقد ((مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث، مُحَّد السعيد بوبكر، جامعة غرداية، 1441-1442هـ/2020- 2021م،الجزائر.

2- بطاش زهية: الغزو الإيبيري للمغرب الأقصى خلال القرنيين (9 - 10 هـ/ 15و 16م) ، مذكرة ماستر، تخصص: تاريخ حديث ومعاصر، جامعة غرداية، (2012- 2013م).

3- بلعمري شيماء – زيان نور الهدى، صالح رايس واءسهاماته في تحقيق الوحدة الاقليمية في الجزائر(1552م – 1556م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ الجزائر الحديث، بن رحال يمينة، جامعة مُحَّد بوضياف – المسيلة، الجزائر، 2020- 2021.

4- بوحسون عبد القادر: العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس خلال العهد الزياني (633- 962هـ/ 1235- 1554م)، مذكرة ماجيستير، تخصص: تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة أبي بكر بلقايد- تلمسان، (2007- 2008م).

5- بيشي رحيمة: العلاقات السياسية التونسية الإسبانية في اواخر الدولة الحفصية (898-982 هـ ، 1494-1574م)، مذكرة ماجيستر، تخصص التاريخ الحديث، المركز الجامعي بغرداية، 2011 -2012م.

6- تومي طاهر ، العلاقات الجزائرية الاسبانية ما بين القرنين السادس عشر والثامن عشر على ضوء المصادر المحلية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، عبد القادر صحراوي، جامعة جيلالي اليابس – سيدي بلعباس، 1435هـ - 1436هـ / 2014 – 2015م، الجزائر.

7- خشوش نعيمة – بن سماعيلي أسماء، العلاقات المغربية خلال حكم البيلربايات (1519 – 1587)، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تخصص تاريخ حديث ومعاصر، عبد القادر فلوح، جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة، 2017/216.

8- خومس سميرة – جنان حورية، ديناميكية الحدود الجزائرية المغاربية خلال الفترة الحديثة والمعاصرة، خنفار حبيب، جامعة ابن خلدون . تيارت، 1438هـ - 1439هـ/ 2017م .2018م، الجزائر.

9- رحماني نفيسة: العوامل المؤثرة في الحياة الثقافية في الجزائر العثمانية، مذكرة ماستر، تخصص: تاريخ الجزائر الحديث، جامعة مُحَمَّد بوضياف المسيلة، (2018-2019).

10- رغدي سهيلة – عشور سمية ، الحملات البحرية الاسبانية على السواحل الجزائرية حملتا شارلكان وأوريلي – دراسة مقارنة 1541 – 1775م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر تاريخ، تخصص: تاريخ الجزائر الحديث 1518 – 1830م، عمر بوضربة، جامعة مُحَمَّد بوضياف بالمسيلة، 1440 -1441هـ/ 2019 – 2020م

11- بن سليماني صليحة ، بناء أسس الدولة الجزائرية الحديثة في عهد البيلربايات (1519/1587م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر أكاديمي في التاريخ، تخصص تاريخ الجزائر الحديث، قويدر عاشور، جامعة مُحَمَّد بوضياف – المسيلة، 1439-1440هـ/2018-2019م.

12- بن سيفي عز الدين ، العلاقات الجزائرية المغربية (1246 – 1330هـ/ 1830 – 1912م)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه ل م د في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، بودواية مبخوت، جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان، 2017م/2018م.

13- شربيتي أحمد ، العلاقات الجزائرية - المغربية (905 – 1194هـ / 1500 – 1780م) مذكرة التخرج لنيل شهادة الماستر، تخصص: حديث ومعاصر، مراد قبال، جامعة الجيلالي بونعامة – خميس مليانة، الجزائر، 2016/2015.

14- عبد النبي إلهام - قروي مريم ، الحملات العسكرية على الصحراء الجزائرية خلال العهد العثماني، مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ، تاريخ المغرب العربي الحديث، بوبكر مُحَمَّد السعيد، جامعة غرداية، الجزائر، 1440 – 1441هـ/ 2019 – 2020م.

15- عطا الله فاطمة: الصراع البحري العثماني الإسباني في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط خلال القرن 10 هـ- 16 م ، مذكرة ماستر، تخصص: تاريخ حديث ومعاصر، جامعة غرداية، (2012-2013م).

16- عطية مُحَمَّد: التحالفات الإقليمية والدولية ضد ايالة الجزائر 1541- 1830م ، أطروحة دكتوراه، تخصص: التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة جيلالي ليابس - سيدي بلعباس، (2019-2020م).

17- قموز مُحَمَّد، زروالة خالد: الهجرة الأندلسية وأثرها على المغرب الأوسط من القرن 16 م إلى 19 م، مذكرة ماستر، تخصص: الحديث والمعاصر، جامعة الجيلالي بونعامة – خميس مليانة، (2016- 2017م).

18- كليل صالح، سياسة خير الدين في مواجهة المشروع الاسباني لاحتلال المغرب الاوسط، لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، تخصص تاريخ حديث ومعاصر، علي أجقو، جامعة العقيد الحاج لخضر – باتنة، 2006-2007، الجزائر.

19- مدني مُحَمَّد العيد – يزيد مُحَمَّد أمين، موقف الدولة العثمانية من القضية الموريسكية (898هـ - 1025هـ / 1492م – 1616م)، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ 1492م.1881م، شدري معمر رشيدة، جامعة أكلي محند اولحاج، الجزائر، 2017 – 2018م.

20- مزي زينب ، الصحراء الجزائرية بين الامتداد العثماني والأطماع السعدية خلال القرن 16م، مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ، تاريخ المغرب العربي الحديث، أحمد جعفري، جامعة غرداية، 1441 – 1442هـ/ 2020 – 2021م، الجزائر.

21- المكي جلول، مسألة الحدود بين الجزائر والمغرب من 631 إلى 1263هـ/ 1234 – 1847م، رسالة جامعية للحصول على الماجستير، مولاي بالحميسي، جامعة الجزائر، 1413هـ/1993م.

المقالات والدوريات والمؤتمرات وحوليات

1-ابلالي أسماء ، التحرشات الإسبانية على سواحل الجزائر خلال القرن 10هـ/16م، في مجلة روافد للبحوث والدراسات، جامعة غرداية، ع2، (2017م).

2- بن عتو بلبروات، بجاية من الاحتلال الاسباني إلى التحرير العثماني 1510-1554، عصور الجديدة، العدد 7-8، 1433-1434هـ/ 2012-2013م.

3- بن معمر مُحَمَّد ، علاقة بني جلاب سلاطين تقرت بالسلطة العثمانية في الجزائر.

4- تيشش نبيل ، عطية عبد الكامل، محاولات تحالف مُحَمَّد السعدي مع الصليبيين الاسبان ضد الجزائر خلال النصف الثاني من القرن 16م – قراءة في الدوافع والنتائج، مجلة معارف البحوث والدراسات التاريخية، المجلد الثامن، العدد الاول.

5- تيشيش نبيل – عطية عبد الكامل، محاولات مُحَمَّد الشيخ السعدي مع الصليبيين الاسبان ضد الجزائر خلال النصف الثاني من القرن 16م – قراءة في الدوافع والنتائج، المجلد الثامن، العدد الأول أكتوبر، 2022.

6- سعيدوني ناصر الدين: الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية (الجزائر ، تونس ، طرابلس الغرب)، من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري (من القرن السادس عشر حتى القرن التاسع عشر الميلادي)، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الحولية 31 ،جامعة الكويت، 2010 م.

7- شوقي عبد الكريم، تطور السياسي والعسكري بالجزائر في عهد البيلربايات 1519 -1587م (عهد خير الدين باربروس 1519 – 1546م)، مجلة الباحث في العلوم الانسانية والاجتماعية، المجلد 13، العدد1، 2022/01/30.

8- شوقي عبد الكريم، تطور الوضع السياسي والعسكري في عهد البيلربايات بالجزائر 1519م – 1587م عهد البايلربايات خلفاء خير الدين بعد وفاته (1546م -1587م)، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، المجلد 07، العدد 03 ديسمبر، 2021.

9- الشيخ عدة، نشأة الصراع العثماني المغربي ودو الجزائر في نسيج معالم العلاقات بينهما، مجلة قضايا تاريخية، العدد الرابع عشر (14) جمادى الثانية 1442هـ/ جانفي 2021م، جامعة حسيبة بن بوعلي – الشلف – الجزائر.

10- غيلاني السبتي، قراءة في تاريخ العلاقات السياسية الجزائرية – المغربية (1516 – 1912)، مجلة الإحياء، العدد الرابع عشر.

11- م م ش زغار مُحَمَّد مختار، صالح رايس بطل الوحدة والجهاد، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، المجلد الثاني، العدد الربع جويلية 2020.

12- مبروك فيصل ، وقف صالح رايس في وجه النزاعة التوسعية لمحمد الشيخ السعدي 1539-1557م، مجلة تاريخ المغرب العربي، العدد التاسع ماي 2018، المركز الجامعي – بريكة.

13- نيفين مصطفى حسن سعد، دور الأخوين خير الدين بربروس وعروج في مقاومة الإستعمار الإسباني في شمالي افريقيا، المؤتمر الدولي الخامس بعنوان العرب والترك عبر العصور، جامعة قناة السوي

المواقع:

1 http://geography-library.blogspot.com/2012/06/blog-post_9635.htm

2/ https://www.facebook.com/110476223798165/posts/178999813612472

فهرس المحتويات

العنوان الصفحة

شكر

الإهداء

المقدمة 1

الفصل الأول: من المغرب الأوسط إلى الجزائر العثمانية

1. المبحث الأول: الاوضاع العامة في المغرب الأوسط قبيل الدخول الجزائر تحت لواء الخلافة العثمانية..... 10

أولاً: الأوضاع الداخلية بالجزائر قبيل الدخول العثماني 10

ثانيًا: الأوضاع الخارجية بالجزائر قبيل الدخول العثماني.....12

ثالثًا: انضمام الجزائر للدولة العثمانية.....17

2. المبحث الثاني: الاوضاع الجزائر الدخيلة والخارجية من 959هـ – 1518م إلى 924هـ– 1552..... 20

أولا: أوضاع الجزائر خلال فترة حكم خير الدين بربروس.....20

ثانيا: أوضاع الجزائر خلال فترة حكم حسن آغا.....27

ثالثا: الأوضاع خلال فترة حكم حسن باشا ابن خير الدين..... 32

الفصل الثاني: التخط: الجزائر من 959هـ – 1552م إلى 1556م –963هـ

1. المبحث الاول: نبذة تاريخية عن حياة صالح رايس.....37

2. المبحث الثاني: الجزائر خلال فترة حكم صالح رايس من 959هـ –1552 إلى 963هـ – 1556م. 41

3. المبحث الثاني: الجزائر خلال فترة حكم صالح رايس من 959هـ –1552 إلى 963هـ – 1556م.

.....46..

أولا: الحملات الداخلية:..... 46

1 حملة توقرت و ورقلة في أوائل أكتوبر 1552م/959هـ.....46

2 حملة على حاكم قلعة بني عباس في سنة 1553م.....52

3 حملة تحرير مدينة بجاية في سنة 1555م.....54

4 حملة على وهران والمرسى الكبير في سنة 1556 59

ثانيا:الحملات الخارجية:.....64

1 حملة على السواحل الاسبانية في سنة 1553م / 961هـ.....64

2 الحملة في سنة 1554م على المغرب.....69

الفصل الثالث: قراءة في السياسية الخارجية لصالح رايس

1. المبحث الاول: العلاقات الجزائرية المغربية من عروج الى نهاية حكم صالح رايس.....77
2. المبحث الثاني: العلاقات العثمانية الفرنسية وأثرها على ايالة الجزائر من خير الدين الى نهاية عهد صالح رايس.....97

خاتمة.....103

الملاحق

قائمة المصادر والمراجع

فهرس المحتويات

الملخص.....112

الملخص:

تتناول الدراسة الموسومة ب " :الحملات العسكرية لصالح رايس 1556 _1552م ,"ذلك الدور العسكري الحربي المشرف الذي لعبته شخصية البيلرباي صالح رايس ,الذي يعتبر بدوره أحد القادة الكبار ورياس البحر الأكفاء الذين رفعوا راية الجهاد وضبطوا حدود إيالة الجزائر الإقليمية وتخموها الترابية الشرقية والغربية والجنوبية خلال النصف الثاني من القرن 16م ,حيث قاد الأخير بفضل ديناميكيته الحربية وحنكته السياسية سلسلة من الحملات العسكرية البحرية والبرية ,التي استهدف من خلالها في بداية الأمر الثغور الجزائرية الداخلية بُغية تحريرها من قبضة الإسبان ,ثم مدّ نفوذه للصحراء الجزائرية وفق ما أملته عليه ظرفية الحركات التمردية وشق عصا الطاعة بها ,ليتفرغ بعد ذلك لمجابهة أعدائه الإسبان في حوض البحر الأبيض المتوسط ,وبعدها في المغرب الأقصى الذي نجح في تحرير حجر باديس بها متخذا منها قاعدة متقدمة لغاراته البحرية ضدّ السواحل الأورو متوسطية المعادية للدين الإسلامي والدولة العثمانية.

وبذلك غذت شخصية البيلرباي صالح رايس أهم شخصية تاريخية عرفتها إيالة الجزائر العثمانية بعد "شخصية خير الدين بربروس "خلال هذه الفترة ,الأمر الذي جعل بعض المؤرخين إن لم نقل أغلبهم يصفون شخصية البيلرباي صالح رايس بزعيم مشروع الوحدة وبطل الجهاد البري والبحري.

الكلمات المفتاحية :صالح رايس -الحملات العسكرية -إيالة الجزائر - مشروع الوحدة -الجهاد البري والبحري -الإسبان -المغرب الأقصى.

Abstract:

The study, tagged with: "Military Campaigns for Saleh Rais 1552_1556AD", deals with the honorable military role played by the personality of Al-Baylerbay Salih Rais, who in turn is considered one of the great commanders and competent sea chiefs who raised the banner of jihad and controlled the regional borders of Algiers and its eastern and western borders. And the south during the second half of the 16th century AD, where the latter, thanks to his military dynamism and political acumen, led a series of military campaigns, both sea and land, through which he initially targeted the internal Algerian frontiers in order to liberate them from the grip of the Spaniards, and then extended his influence to the Algerian desert according to what was dictated by the circumstances of the movements. rebelliousness and broke the stick of obedience with it, to devote himself after that to confronting his Spanish enemies in the Mediterranean basin, and then in the extent Morocco, where he succeeded in liberating Hadjar Badass, taking it as an advanced base for his naval raids against the Euro-Mediterranean coasts hostile to the Islamic religion and the Ottoman Empire.

Thus, the personality of Beylerbey Salih Rais fueled the most important historical figure known to the Ottoman Eyalet of Algeria after the "personality of Khair al-Din Barbaros" during this period, which made some historians, if not most of them, describe the

personality of Beylerbey Salih Rais as the leader of the unity project and the hero of the land and sea jihad.

Keywords: Saleh Rais - Military Campaigns - Eyalet of Algeria - Unity Project - Land and Sea Jihad - Spaniards - Al-Maghreb Al-Aqsa.’ results.